فقه
قراءة القرآن الكريم

تأليف الشيخ
سعيد يوسف
مدرس القرآن الكريم وعلومه
بالأزهر الشريف

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

مكتبة السنة

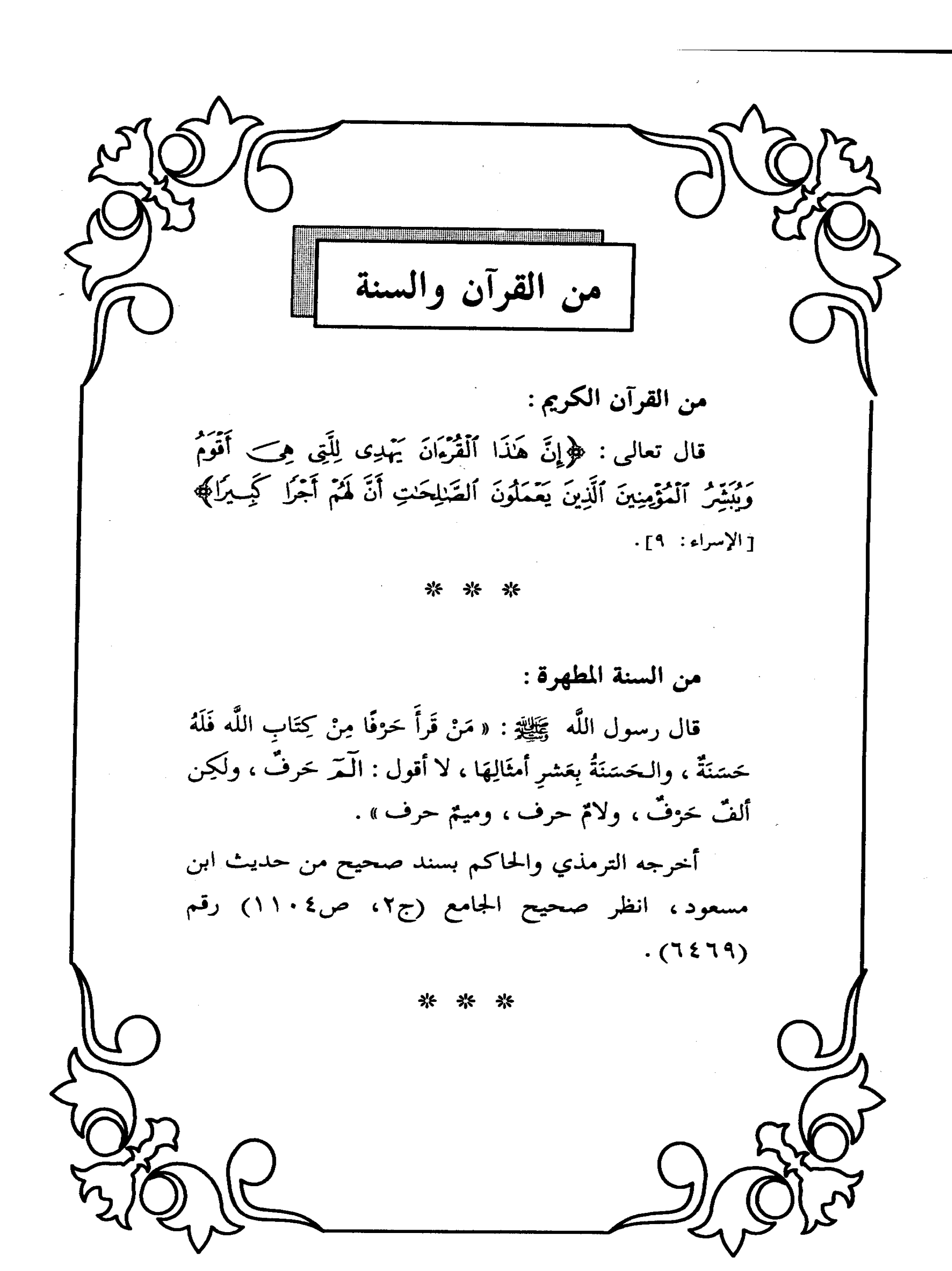
الطبعة الأولى لمكتبة السنة
بالقاهرة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ٩٨/١٧١٢



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين «ناصية شارع الجمهورية»
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس : TLTHRB UN ٢١٧١٩
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١



من القرآن والسنة

من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٩] .

* * *

من السنة المطهرة :

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّه فَلَهُ حَسَنَةٌ ، والحَسَنَةُ بِعَشرِ أمثَالِهَا ، لا أقول : الٓمٓ حَرفٌ ، ولكِن ألفٌ حَرفٌ ، ولامٌ حرف ، وميمٌ حرف » .

أخرجه الترمذي والحاكم بسند صحيح من حديث ابن مسعود ، انظر صحيح الجامع (ج٢، ص١١٠٤) رقم (٦٤٦٩) .

* * *

مقدمةُ فضيلةِ الأستاذ

الشيخ / محمد الفقي

بسم اللَّه والحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه الذي أنزل عليه كتابٌ لا يخلقُ من كثرة الرد ولا يزيد القارئ له إلا إجلالًا وإعظامًا . وبعد ..

فقد أتاح لي الأخُ الكريمُ أبو خالد / سعيد عبد الجليل يوسف الاطلاع على ما قام به من جهد مشكور وبحث طيب في « **فقه قراءة القرآن الكريم** » سبقه إلى القول فيه علماء أجلاء أفنوا زهرة عمرهم في خدمة كتاب اللَّه ، إلا أن آراءهم والمسائل التي أثاروها جاءت متفرقة في ثنايا موسوعاتهم ، مما كان يكلف الطالب لشيء منها مشقة ، فجاء أخونا – نفعه الله بما قدم – يجمع هذه المتفرقات من مصادرها ونظمها في سلك من التبويب والمعالجة السهلة الميسرة للمسائل التي سُبق بها أو مسائل ذات صلة بعلوم القرآن أو أخرى رآها مطروحة على الساحة ، وكان عليه أن يناقشها بما تيسر له من أدوات البحث والاجتهاد والاستنباط ، الأمر الذي جعل من إصداره هذا مرجعًا سهلًا ميسرًا ، وفقهًا طيبًا لقارئ القرآن وسامعه وغُنْية يُكتفى بها في حدود رغبته في الوقوف على الجواب الشافي دون حاجة إلى إطالة أو إملال ، كما يتيح لمن يقتني هذا البحث أن يضعه في مكتبته وأن يحتل منها مكانًا بارزًا يسهل له الرجوع إليه متى أراد .

لقد جاء جهده المشكور انطلاقًا من دعوته الجميع بضرورة العناية أولًا بكتاب اللَّه حفظًا وفهمًا ومدارسة باعتباره المصدر الأول ، وإني إذ أحيي دعوته صادقًا ، فإنني كذلك أُعلنُ اعتزازي بالجهود المخلصة الأخرى التي تهتم بالسنة النبوية رواية ودراية ، ولعل هذين الاتجاهين المتآزرين ينفعان شباب الإسلام في أيامنا هذه ويخدمان القرآن والسنة ، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا ؛ كتاب الله ، وسنتي » . هذا ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه : أبو أنس / محمد الفقي

« مقدمة الطبعة الثانية »

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد ..

فهذه الطبعة الثانية من كتابنا « **فقه قراءة القرآن الكريم** » تقدمها **مكتبة السنة المباركة** إلى قرائها في العالم الإسلامي في هذه الحلة القشيبة ، وموضوع هذا الكتاب له شأنه وله أهميته في نفسه ، وبالنسبة لكتابته في هذا الوقت الذي بُعدت فيه الأمة عن دستور ربها ومصدر عزها واتخذوا هذا القرآن مهجورًا ، وقد جاء ليكون منهاج حياة ليقود الأمة إلى طريق النجاة ، جاء لينفذ حرفًا حرفًا وكلمة كلمة تكليفًا تكليفًا ، إذا فهمنا ذلك فمن الممكن أن يعاد إخراج الأمة مرة أخرى إلى الوجود ، لذا كان هذا الكتاب : « **فقه قراءة القرآن الكريم** » .

اللهم اجعل عملي صالحًا ولك خالصًا ، وما توفيقي إلى بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

كتبه

سعيد يوسف

٢٠٠٢/٧/٢٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب اللّٰه تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وبعد .

فلمّا كان القرآن الكريم هو المنهج الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده دستورًا لحياتهم في جميع شئون الحياة ؛ لذا ضمنه سبحانه وتعالى مقومات الحياة كلها على أكمل وأحسن وجه وأودع فيه علم كل شيء بحيث يفي بمطالب هذه البشرية في حياتها الفردية والجماعية ويهديها إلى طريق الكمال في الحياة الدنيا بقدر ما تطيق ، ثم إلى الحياة الأخرى في نهاية المطاف .

فلمّا غفل المسلمون عن هذا المنهج واتخذوا القرآن كتاب متاع للثقافة وكتاب تعبد للتلاوة فحسب ، لا منهج تربية للتوجيه والتكيّف ومنهج حياة للعمل والتنفيذ لم ينتفعوا من القرآن بشيء لأنهم خرجوا عن منهجه الذي رسمه العليم الخبير .

والقرآن بخصائصه الموضوعية والتعبيرية ، بهذا الكمال في تناسقه وبهذا الكمال في العقيدة التي جاء بها ، وبهذا المنهج المبرأ من القصور والنقص ومن آثار الجهل والعجز كان الحجة التي أظهرها الله سبحانه وتعالى – على يد نبينا محمد ﷺ وجعله تصديقًا لما بين يديه من الكتب المتقدمة – في أصل العقيدة والدعوة إلى الخير ومهيمنًا عليها ومبينًا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل ، وتحدى الناس جميعًا أن يأتوا بمثله أو أن يأتوا بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله أو بحديث مثله فما استطاعوا ولن يستطيعوا ، ولا يزال التحدي قائمًا حتى يرث اللّٰه الأرض ومن عليها .

قال تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وفي هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بشيء من جنسه لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني النافعة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله ، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، فهذا القرآن لا يكون إلا من عند الله .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وكان القرآن ينزل على النبي ﷺ منجمًا بعضه في إثْر بعض ، والنبي ﷺ يتلقاه بروحه وجوارحه معًا ، فكان قرآنًا يمشي على الأرض ، وكان خلقه القرآن ، وكذا تلقاه الجيل الأول من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم ، فـ « كان الرجل منهم إذا تعلم عشر آيات من كتاب الله لا يُجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهنّ »[1] .

وقد ثبت أن « عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخذ في تحصيل سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها بأحكامها ومعانيها وأخبارها فكذلك طال مكثُهُ فيها »[2] .

ففتح الله لهم آفاقًا من الفَهْمِ والمعرفة لم تكن لتفتح لهم لو أنهم قصدوا إلى كتاب الله بقصد القراءة أو الحفظ فحسب ، فهذا القرآن لا يمنح كنوزه ودرره إلا لمن يقبل عليه بهذا الشعور وبهذه الروح شعور التلقي للتنفيذ وروح المعرفة المنشئة للعمل[3] .

وكان لهذا المنهج – منهج التلقي والتعليم للتنفيذ والعمل – أكبرُ الأثر في فهم هذا الدين ، ثم تمكنه وتملكه من قلوبهم ، فضربوا بذلك أروع الأمثلة لجيل لم يشهد له التاريخ مثيلًا ، فتح الله بهم مشارق الأرض ومغاربها ، فرضيَ الله عنهم ورضوا عنه .

---

(١) ذكره ابن كثير (بسنده) عن ابن مسعود (ج ١ ص ٤) .

(٢) رواه مالك في الموطأ (ج ١ ص ٢٠٥) ، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار (ج ٨ ص ٩١) ، وفي الطبقات لابن سعد عن ميمون أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين .

(٣) من كتاب « معالم في الطريق » بتصرف .

لكن الناظر في حال أمة القرآن في هذه الأزمنة يجدها بعيدة كل البعد عن هدي نبينا محمد ﷺ وأصحابه ، فقد هُجر القرآنُ أنواعًا شتى من الهجر ، بداية من هجر قراءته وسماعه ، مرورًا بهجر تدبره وتفهمه والعمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وانتهاءً بهجر تحكيمه والتحاكم إليه ، وقد جاء ليكون منهاج حياة ليقود الأمة إلى طريق أقوم ، لذا فإن أعظم جريمة على وجه هذه الأرض وأكبر كبيرة على ظهر هذه الأرض أن يُنَحَّى كتاب اللَّه .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] . فلا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية ، ولا طمأنينة لهذا الإنسان ، ولا تناسق مع سنن الكون إلا بالرجوع إلى كتاب الله ، ولن يصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها ، ولقد كان صلاح حال أول هذه الأمة هو التزامهم كتاب اللَّه – عز وجل – وتمسكُهم به تلاوةً وفهمًا وعملًا .

لذا كان هذا الكتاب – **فقه قراءة القرآن الكريم** – والذي آمل أن يفتح اللَّه به آفاقًا واسعة لفهم كتاب اللَّه وماذا أراد الله به منا .

ولقد اشتمل هذا السِّفْر على أبواب ثلاثة ، عرضتُ في **الباب الأول** منها لأمور مهمة يحتاج كل مسلم إلى معرفتها عن القرآن الكريم ليكون عند قراءته لهذا الكتاب العزيز على علم به ، وفهم له . تبعه **الباب الثاني** والذي نظمتُ فيه هدي رسول الله ﷺ في قراءة القرآن وعند استماعه وتوابع ذلك ؛ ليكون هديه ﷺ نموذجًا يقتدي به المسلم ويستعين به على فهم كتاب اللَّه ، وتلاوته حق التلاوة ، تلاوةً ينعكس أثرها في العمل والسلوك . أخيرًا **الباب الثالث** الذي أشرتُ فيه لطرف من فضائل القرآن وفضائل أهله العاملين به المتمسكين بأمره المجتنبين لنهيه ، فكانت هذه الأبواب الثلاثة بمجموعها إرشادًا للسالك إلى أقرب وأوضح المسالك لتلقي كتاب الله وفهمه والعمل به كما تلقاه الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، فالعامل بما فيه عامل – إن شاء الله – بهدي رسول الله ﷺ وصحابته رضي اللَّه عنهم .

وكما هو دأبي فقد التزمت فيما أوردته بين دفتي هذا السِّفْر كتاب اللَّه تعالى وسنة

رسول الله ﷺ الصحيحة ، مع إثبات مواضع الآيات من السور ، ومواضع الأحاديث من كتب السنة ، والتحقق من صحة سندها إلى رسول الله ﷺ ، وإتمامًا للفائدة قمت بفهرسة الآيات والأحاديث والآثار مرتبة حسب ورودها في الكتاب مع اعتبار السور في ترتيب الآيات وأحرف الهجاء في ترتيب الأحاديث والآثار .

أما بالنسبة للمسائل الفقهية فإنني لم آل جهدًا في تحري الأصوب واختيار الأصح وعدم التقيد بمذهب إمام خاص ، بل اعتماد الرأي الذي تقوم به الأدلة ، مع عزو القول الراجح إلى قائله والإرشاد إلى موضعه من كتب الفقه ، مثل ذلك فعلتُ فيما له علاقة بالأُصول أو القراءات أو التفسير ، كلٌّ ذلك مع التزام السهولة في الأسلوب ومحاولة تجنب مواضع الخلاف قدر المستطاع .

فعلى كل راعٍ من أب وأم وزوج أن يتقي الله في نفسه وفي أولاده وبناته وزوجه ويعلمهم كتاب الله ، ففيه العقائد والمفاهيم والقيم والموازين والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب في أسلوب رائع معجز هو نور من الكلام أو كلام من النور .

كما أنني أهيب بمشايخنا الفضلاء وبإخواني طلبة العلم المشتغلين بتعلم المصطلح والحديث عن تعلم كتاب اللّه المنشغلين بحفظ المتون والمنظومات عن حفظ كتاب اللّه أن يهتموا أولًا بكتاب اللّه تعالى ، فالقرآن القرآن يا طالب العلم ، ولست أقرر جديدًا في هذا الميدان حين أدعو وأؤكد على ضرورة العناية بالقرآن الكريم أولًا ، فإن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه نقص لا يجبره القراءة في كتب الحديث ، فإن السنة تجيء بعد القرآن وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه من الكتاب نفسه ، فكل ما قاله أو حكم به الرسولُ ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، فكيف يفقه الفرع من جهَل الأصل[1] ؟

فيا طالب العلم - بارك الله فيك وفي علمك - كن سلفيًا على جادة السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين من بعدهم .

ولتعلم أن النبع الذي استقى منه ذلك الجيل الذي رباه النبي ﷺ هو نبع القرآن ،

---

(١) أقول هذا الكلام وأنا أعلم أنه قد لا يرضي بعض إخواننا ، لكن ليلتمس لي العذر من يعلم أن هناك من طلبة العلم من لا يحسن قراءة القرآن الكريم ، فضلًا عن العلم به والفهم له ، واللّه حسبي ونعم الوكيل .

نعم ... القرآن وحده ، فما كان حديث رسول الله ﷺ إلا أثرًا من آثار ذلك النبع ، وما سنة رسول الله ﷺ إلا ترجمة لما فهمه النبي ﷺ من القرآن الكريم وعلمه ربه إياه ، فَلْتُصَحَّحْ الترتيب ؛ فالقرآن أولًا ، والسُّنةُ الصحيحة مفسرة له ومبينةٌ وموضحة ، أي تابعة له ، والمقصود الأعظم كتاب اللّٰه تعالى ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر : ٣٢] ، ومن يفعل ذلك فقد أُلهِمَ رشده .

وأنا أعلم يقينًا أن مثلي ربَّما لا يعطي هذا الموضوع حقه نظرًا لقلة البضاعة وسعة الموضوع - ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه - ولكنني بذلتُ جهد المقل ، فإن أصبت فذاك ما أردت ، والفضل لله أولًا وآخرًا . وإن كانت الأخرى فأستغفر الله لذنبي ، ويُسعدني أن أتلقى أي تنبيه أو نصيحة أو تصحيح خطأ من مشايخنا وعلمائنا - حفظهم الله - أو من إخواني طلبة العلم . ورحم الله امرءًا أهدى إليّ عيوبي .

وأخيرًا أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أسهم بجهد أو أعان على إتمام هذا العمل وتنقيحه ونشره بين المسلمين ، أخص بالذكر الوالد الفاضل الأستاذ : محمد الفقي - رحمه الله - لما أسداه إليّ من نصحٍ وتوجيه وإرشاد وتنبيه ، سائلًا اللّٰه العلي القدير أن يجزل له الأجر والمثوبة ، والأخ الكريم الشيخ : سيد بن عباس الجليمي المدير المسئول **بمكتبة السنة للنشر والتوزيع** ؛ وذلك لحسن تعاونه .

واللّٰه الكريم أسأل أن يجعل عملي صوابًا خالصًا لوجهه الكريم وسببًا للفوز بجنات النعيم ، وأن يتم النعمة بقبوله وينفع به النفع العميم إخواني وأحبائي وعموم المسلمين ، وأن يهب ليّ نصيبًا موفورًا من التوفيق والاسترشاد بهديه كما خصّنا بتعليم القرآن العظيم ، وباللّٰه تعالى التوفيق وهو المستعان سبحانه ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم .

كتبه

الفقير إلى عفو ربه / سعيد عبد الجليل يوسف صخر

ج ٠ م ٠ ع

المحلة الكبرى - ص . ب (٣٤٤)

الباب الأول
في ظلال القرآن

فها أنذا أستلم قلمي لأُقيدَ البابَ الأول من معالم هذا الكتاب المبارك[1] ، فاتل ما أرقم لك زادك اللّه رشدًا ، وأنعم بك عينًا . وإن أول ما سأسوقه بين يدي هذا الباب هو بعض التعاريف والمصطلحات ومعاني الكلمات التي ذكرتُ بين ثنايا هذا الكتاب ، مع إلقاء الضوء حول بعض أسماء وأوصاف القرآن العظيم وأقسام سوره ، ثم أعرض بعض ما تميز به القرآن الكريم من خصائص ، وأختم هذا الباب بلمحة تاريخية عن جمع القرآن ومنشأ القراءات ، وكيف وصلنا المصحف الإمام . فأقول وباللّه التوفيق

فصل
في بعض التعاريف والمصطلحات الهامة

* **الفقه : لغة :** العلم بالشيء والفهم له ، ولكن استعماله في القرآن الكريم يرشد إلى أن المراد منه ليس مطلق العلم ، بل دقة الفهم ، ولطف الإدراك ، ومعرفة غرض المتكلم .

اصطلاحًا : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[2] .

* **الباب : لغة :** ما يُتوصَّلُ منه إلى غيره ، **اصطلاحًا :** اسم الجملة مختصة من الكتاب مشتملة على فصول غالبًا .

* **الفصل : لغة :** الحاجز بين الشيئين ، **واصطلاحًا :** اسم لجملة مختصة من الباب مشتملة على فروع ومسائل غالبًا[3] .

* **القرآن : لغة :** مصدر « قرأ » ، وتأتي بمعنى الجمع والضم ، ومنه سمي القرآن ؛

---

(١) بركته تأتي من أن كل ما فيه هو قال الله تعالى أو قال الرسول ﷺ .

(٢) من كتاب الوجيز في أصول الفقه . د / عبد الكريم زيدان (ص ٨) بتصرف .

(٣) تقريب فتح القريب المجيب لابن القاسم (ص ١١) .

لأنه يجمع السور ويضمها .

واصطلاحًا : هو كلام الله المعجز المُنَزَّل على محمد ﷺ المكتوب بالمصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته(*) .

*** أسماء القرآن :**

وقد سمّاه الله بأسماء كثيرة :

منها : « القرآن » .. وهو في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] ، وفيه إشارة إلى جمعه وحفظه في الصدور .

و« الكتاب » .. وهو في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، وفيه إشارة إلى كتابته في السطور .

و« الفرقان » .. وهو في قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] ، وذلك لكونه فرق بين الحق والباطل .

و« الذكر » .. وهو في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] ، وذلك لاشتماله على المواعظ وأخبار الأمم الماضية .

« التنزيل » .. وهو في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٢] إلى غير ذلك مما ورد في القرآن من أسماء .

*** أوصاف القرآن :**

وقد وصفه الله بأوصاف كثيرة :

منها أنه **« نور »** .. وهو في قوله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١٧٤] ، وذلك لأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام .

وأنه **« مبين »** .. وهو في قوله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة : ١٥] ، وذلك لأنه أبان ، أي : أظهر الحق من الباطل .

(*) هناك تعاريف ومصطلحات أخرى سوف أُشير إليها في موضعها .

وأنه « **شفاء** » .. وهو في قوله تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

وأما الشفاء فلأنه يشفي من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، فإذا أحسن العليل التداوي به لم يقاومه الداء أبدًا .

وأنه « **هدى** » .. وهو في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] ، وأما الهدى فلأن فيه الدلالة على الحق .

وأنه « **روح** » .. وهو في قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢] ، وأما الروح فلأنه تحيا به القلوب والأنفس ، وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني القرآن[١] .

* أقسام القرآن :

بداية ؛ فإن الحكمة من تسوير القرآن سورًا تحقيق كون السورة بمفردها معجزة وآية من آيات الله ، ومنها أن القارئ لكتاب الله إذا ختم سورة يشعر أنه قد أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ولا يخفى ما في ذلك من التيسير ومن الحمل على التعليم .

وسور القرآن باعتبار ما سبق وأن أشرتُ إليه أربعة أقسام ، لكل قسم منها اسم ، وسوف أوجز أرجح الأقوال فيها[٢] .

١- السبع الطوال :

وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والسابعة قيل : الأنفال وبراءة معًا لعدم الفصل بينهما بالبسملة ، وقيل : هي يونس .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج ١ ص ٦٧) بتصرف .

(٢) ورد في ذكر أقسام القرآن حديث واثلة بن الأسقع ، وفيه سعد بن أبي بشير وفيه لين ، انظر ابن كثير (ج١ ص ٣٥) .

٢- المئون :

وهي التي تليها ، وسميت بذلك لأن كل سورة تزيد على مائة آية أو ما يقاربها .

٣- المثاني :

وهي التي آياتها أقل من مائة آية ، وسميت بذلك لأنها تثنى في القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين .

٤- المفصّل : ويسمى أيضًا بالمحكم[١] :

وقيل بأن بدايته من سورة « ق » ، وقيل : من بداية « الحجرات » ، ووجه تسميته بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة .

والمفصل ثلاثة أقسام : طواله - أوساطه - قصاره .

فطواله إلى « عم » ، وأوساطه إلى « الضحى » ، ومنها إلى آخر القرآن قصاره ، وهذا أقرب ما قيل فيه .

فائدة في تقسيم المصحف وتجزئته :

قامت طائفة من العلماء فقسمت القرآن ثلاثين قسمًا وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء ، ثم قسموا الجزء إلى حزبين ، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام ، كل قسم منها يسمى رُبعًا ، وجرى العمل على هذه الأقسام .

ولاشك أن هذا العمل فيه من التشويق والترغيب للقارئ ما يدفعه للاستزادة في القراءة كلما علم أنه ختم ربعًا دفعه إلى قراءة الربع الثاني حتى يتم جزءًا ، وهكذا .

وأما تعداد سور القرآن فإنه مائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد بهم ، وقيل : ثلاث عشرة ، بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة ، وثمّ أقوال أخر لا تعويل عليها .

---

(١) حديث تسمية المفصل بالمحكم في صحيح البخاري (ج٩ ص ٨٣) مع الفتح . من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ فقلت له وما المحكم ؟ قال : المفصل) .

وأما تعداد الآيات ، فقد أفرده جماعة من القراء بالتصنيف وعَدُّ الآيات توقيفي لا مجال للقياس فيه .

وعدد آيات القرآن ستةُ آلاف ومائتا آية وست وثلاثون[١] ، وأطول آية في القرآن هي آية الدَّيْن ، وأطول سورة هي البقرة .

فائدة : يترتب على معرفة الآي وعدها وفواصلها أحكام فقهية منها :

١ – اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات فمن لم يستطع لعجز في طبعه أو سوء في فهمه فعليه التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ثم يركع[٢] .

٢– اعتبارها في الخطبة عند من قال بوجوب قراءة آية كاملة فيها كالإمام الشافعي – رحمه الله –، وذَهَبَ الجمهور إلى عدم الوجوب وهو الحق[٣] .

٣– اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة وفي قيام الليل .

٤– اعتبارها في الوقف ، كما سيأتي بيانه في موضعه ، والله الموفق للصواب .

* * *

---

(١) اتبعت في عد آياته طريقة الكوفيين ، راجع (ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي .

(٢) فقه السنة (ج ١ ص ٢٠٣) .

(٣) نيل الأوطار (ج ٣ ص ٢٢٦) .

فصل
في بعض خصائص القرآن الكريم

إنه ما من نبي من الأنبياء إلا وأعطي ما مثله آمن عليه البشر من كلام الله الخاص وآياته المعجزات إلى من اصطفى من رسله غير أن آيات الأنبياء السابقين ومعجزاتهم كانت حسية وقتية يؤمن بها من عاصرها وشاهدها دون من نأى بهم المكان أو تأخر بهم الزمان ، وكان التشريع فيها خاصًا بفئة معينة وموقوتة بزمن معين ، وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب السابقة صحف إبراهيم وصحف موسى ، وثلاثة كتبٍ هي توراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى .

وهذه الصحف والكتب السابقة جميعًا قد داخلها التحريف والتبديل وليس فيها ما يُجْزَمُ بصحة نسبته إلى الله تعالى ، وممَّا لاشك فيه أن للقرآن الكريم المنزلة العلية الرفيعة بين سائر الكتب التي تقدمته في النزول ، وتتجلى هذه المنزلة له بكونه شاملًا لأصول الهداية البشرية مع احتوائه على أعظم منهج رباني محقق لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، منهج حياة كامل ملحوظ فيه نواميس الفطرة التي تصرف النفس البشرية في كل جوانب حياتها ، وإعجازه أبعد مدى من كونه إعجازًا في النظم أو المعاني بل إعجاز عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به .

ولِمَ لا ، وهو يحمل رسالة الرشد البشري الذي يخاطب مدارك الإنسان جيلًا بعد جيل ، ولله دَرُّ من قال :

لا تذكُر الكتُبُ السوالفُ عِنده   طلع النهارُ فأطفئ القنديلا

والقرآن بهذه الطبيعة المنهجية صنع الأمة المسلمة أول مرة وبها يصنع الأمة المسلمة في كل مرة يراد فيها أن يعاد إخراج الأمة المسلمة للوجود بعد أن واراها ركام الجاهلية بما فيها من تصورات أوضاع وقوانين وأنظمة لا صلة لها بالإسلام[١] .

---

(١) من كتاب معالم في الطريق بتصرف .

ولقد خص الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بخصائص كثيرة ينبغي لمن أراد أن يفهم القرآن أن يَعِيَها ويدركها بعقله وبقلبه .

وإن أول هذه الخصائص أنه – أي القرآنُ الكريمُ – كلام الله الخالص غير مخلوق ولا مفترى ، غير مشوب بأوهام البشر ولا بأهواء البشر ، فكله من الله من ألفه إلى يائه .

ليس لجبريل منه إلا النزول به ، ولا لمحمد ﷺ إلا التلقي والتبليغ ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٢– ١٩٤] .

إذن فلا غرو أن تتصف أخبار هذا الكتاب بالصدق الكامل وأحكامه بالعدل المطلق ، فكل ما في القرآن من أخبار ، ومواعظ وأوامر ، ونواهٍ ، وتوجيهات ، وتشريعات يتجلى فيها الحق كله ، والخير كله ، والجمال كله ، والحكمة كلها والمصلحة كلها ؛ لأنها كلها صادرة من لدن حكيم خبير .

والخصيصة الثانية للقرآن هي التيسير فهو كتاب يسره منزله ، يسر تلاوته ويسر فهمه ويسر العمل به لمن أراد ، لا يكلف الإنسان شططًا ولا يرهقُه من أمره عسرًا .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : ١٧] .

فيستطيع كل إنسان سليم الفطرة ، يقرأ القرآن أو يسمعه – أن يفهم منه ويتأثر ويستقي من منهله بقدر ما يتسع واديه .

ومن خصائص القرآن : أنه كتابٌ معجزٌ على مر الأيام وتعاقب الأزمان فهو آية محمد ﷺ العظمى ومعجزته الخالدة ، وللإعجاز القرآني أوجه وجوانب عديدة فهو معجز في لفظه وأسلوبه ونظمه وعباراته وألفاظه ، معجز في موضوعه ومنهجه وتشريعه ، معجز فيما أرشد إليه من حقائق علمية كشف وما زال يكشف عنها العلم الحديث يومًا بعد يوم إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز .

قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت : ٥٣] .

ومن خصائص القرآن : أنه كتاب الخلود ، وليس كتاب جيل ما ، ولا كتاب عصر ما ، بل هو كتاب الزمن كله ، قيض له الله رجالًا أمناء حفظوه في صدورهم وسطورهم ، فلن تقوى عليه يد الزمان ، ومن دلائل ذلك أن أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمن مرت على نزول هذا القرآن ولم يزل كما أنزله الله وكما بلغه محمد ﷺ وكما تلقاه الصحابة ومن بعدهم جيلًا إثر جيل محفوظًا في الصدور ، متلوًا بالألسنة مكتوبًا بالمصاحف يستظهره مئات الآلاف من أبناء المسلمين حتى الصبيان منهم ، بل حتى الأعاجم الذين لا يعرفون لغته .

قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

ومن خصائص كتاب الله العزيز الشمول ، فهو كتاب الحياة كلها وكتاب الإنسانية كلها ، فليس هو لجنس دون جنس ، ولا لوطن دون وطن ، ولا لطائفة دون طائفة ، إنه كتاب الجميع ودستور الجميع في نسق فريد ونظم بديع ، ومن شمول القرآن أن طالب الحقيقة العقلية يجد في القرآن ما يرضي منطقه ويأخذ بلبه ، والباحث عن الحقيقة الروحية يجد في القرآن ما يرضي ذوقه ويغذي وجدانه ، والحريص على القيم الأخلاقية يجد في القرآن ضالته وطلبه . وعاشق القيم الجمالية يجد في القرآن ما ينمي حاسته الجمالية ويغذي شعوره ، ومن شمول القرآن أنه لا يخاطب العقل وحده ولا القلب وحده ، بل يخاطب الكيان الإنساني كله فيقنع العقل ويحرك القلب في وقت واحد كذلك .

فالقرآن دستور شامل وَصَفَهُ مُنَزِّلُه بأنه تبيانٌ لكل شيء .

قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة(*) .

(*) من كتاب ثقافة الداعية د / يوسف القرضاوي بتصرف .

فصل
في جمع القرآن ومنشأ القراءات

نزل القرآن الكريم جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، فكان نزوله حدثًا جليلًا أشعر العالم العلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة لتكون خير أمة أخرجت للناس ، ثم بدأ ينزل منجمًا ، أي مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة ؛ منها ثلاث عشرة بمكة – على الرأي الراجح[1] – وعشر بالمدينة ، فكان ينزل بحسب الحاجة ، خمس آيات ، وعشر آيات ، وأكثر وأقل من ذلك لحكم بليغة ؛ منها تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ ، وتيسير وتسهيل حفظه وفهمه ، والتدرّج في التشريع ، وغير ذلك ...

وكان نزول القرآن آنذاك على سبعة أحرف لتيسير قراءته وحفظه على قوم أميين لكل قبيل منهم لهجة ولسان ، ولا عهد لهم بحفظ الشرائع ، وتحقيقًا لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة حتى تواتر عن رسول اللّه ﷺ أن القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، أذكر منها ما صح من حديث عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[2] .

وقد اختلف أهل العلم في معنى هذه السبعة أحرف على أقوال كثيرة ، أورد منها الإمام ابن كثير في ذيل تفسيره خمسة أقوال[3] أرجحها وهو قول أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة ، وابن وهب ، وابن جرير ، والطحاوي أن المراد بالأحرف السبعة سبعة

---

(١) الراجح : (الأصح) : يقصد به المعتمد ، وعكسه المرجوح يعني غير المعتمد ، وقيل : يعني أن ما بعدها ضعيف .

(٢) صحيح البخاري (ج ٩ ص ٢٣) مع الفتح ، صحيح مسلم (ج ٦ ص١٠١) بشرح النووي .

(٣) تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ٥٩٨) .

أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو (أَقْبِل ، تعال ، هلم) ، ونحو (أقوم ، أصوب ، أهيأ) ، فهي ألفاظ مختلفة بمعنى واحد أو متقارب .

وكان لرسول اللّه ﷺ كُتَّاب للوحي من أجلاء الصحابة كعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت وغيرهم ، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها ويرشدهم إلى موضعها من سورتها ، فيقول لهم : ضعوا هذه الآية في الموضع المعين بين آية كذا وآية كذا ، وضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة ، وكانوا يكتبونه في العسب – وهو جريد النخل – واللخاف – وهي الحجارة الرقاق – والرقاع من جلد أو ورق ، وكان ذلك موزعًا في بيوت الصحابة ، لم يُجْمَعْ في مكان واحد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان محفوظًا في صدور الصحابة رضي اللّه عنهم أجمعين .

وكان جبريل عليه السلام يعارض رسول اللّه ﷺ القرآن حين يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان ، والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن اللّه تعالى ليبقى ما بقي ويذهب ما نُسِخَ توكيدًا واستثباتًا وحفظًا ، ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره ﷺ على جبريل مرتين ، وعارضه جبريل كذلك ، وكان الصحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة كذلك .

وجمع القرآن كله بهذه الصورة على عهد رسول اللّه ﷺ وإنما لم يجمع القرآن في مصحف واحد في عهده ﷺ لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته كما أن ترتيب الآيات لم يكن بترتيب النزول ، بل تكتب الآيةُ بعد نزولها على حسب ما يُرشد ﷺ إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا .

فتم كتابة القرآن في السطور وجمعه في الصدور ويسمى هذا الجمع في عهد النبي ﷺ حفظًا وكتابة « الجمع الأول » .

فلمّا كمل القرآن وانتهى نزوله بوفاته ﷺ ألهم اللّه الخلفاء الراشدين جمع كتابه وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر رضي اللّه عنهما .

روى الإمام البخاري بسنده أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني ، فقال : إن القتل قد استحر[1] بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلتُ لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان عليّ أثقل مما أمرني به من جمع القرآن ، قلتُ : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو الله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره[*] : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ حتى خاتمة براءة[2] .

وهذا الجمع هو المسمى بـ « الجمع الثاني » ، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين .

فلمّا كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه والذي اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده وتفرق القراء في الأمصار ، وأخذ أهل كل مصر عمّن وفد إليهم قراءته ، وكانت وجوه القراءة مختلفة باختلاف الأحرف التي أنزل عليها ، فكانوا إذا ضمهم موطن من مواطن الغزو ظهر الاختلاف في وجوه القراءة مع إلفْ كل لقراءته ووقوفه عندها ، حتى خطَّأ بعضهم بعضًا ، وكان هذا بابٌ لفتنة لابد لها من علاج .

روى الإمام البخاري – رحمه الله – بسنده أن حذيفة بن اليمان قدِمَ على عثمان

---

(١) استحر : أي اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة ، يعني يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بني حنيفة بأرض اليمامة في حديقة الموت .

(*) يعني أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، لا أنه لم يكن يحفظها غيره .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ١٠) .

ابن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف فننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن[١] فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما أنزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[*][٢].

وجمع عثمان للقرآن هو المسمى بـ « **الجمع الثالث** » وكان سنة (٢٥هـ) .

فائدة في الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان

إن الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ؛ لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ مشتملًا على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن .

أما جمع عثمان ، فكان لمّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة ، فجمع قراءات الناس على مصحف واحد ، واقتصر فيه من سائر اللغات على حرف واحد وسمى ذلك بـ « المصحف الإمام » ، وأجمع عليه سائر الصحابة ، وتلقت الأمة ذلك بالقبول ، وتم إرسال المصحف الإمام إلى سائر الأقطار الإسلامية كمكة ، والشام ، واليمن ، والكوفة ، وبقي واحدٌ بالمدينة .

---

(١) أي اختلافهم في رسم كتابته .

(*) حِكْمةُ ذلك الخوف من أن يكون في بعضها غلط أو تكون سببًا للكذب والاختلاف .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ١١) .

فائدة

حول منشأ القراءات وصلة القراءات السبع بالأحرف السبعة

لم يكتف أمير المؤمنين عثمان بن عفان بإرسال المصاحف وحدها إلى الأمصار، وإنما أرسل معها جماعة من قراء الصحابة يعلمون الناس، ولمّا لم تكن المصاحف العثمانية ملزمة بقراءة معينة لخلوها من النقط والشكل، لذا فقد أقرأ كل صحابي أهل إقليمه بما سمعه تلقيًا من رسول الله ﷺ ما دامت هذه القراءة يحتملها المصحف العثماني الذي أُرسل منه نُسَخٌ إلى جميع الآفاق، فمثلًا لفظ «فتبينوا» من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] من غير نقط يحتمل قراءة «فتثبتوا». ومن هنا كان منشأ القراءات.

وأما عن صلة القراءات السبع بالأحرف السبعة المذكورة في الحديث، فليعلم أن الأحرف السبعة نزلت في أول الأمر للتيسير على الأمة. فالعرب ألسنتهم مختلفة ولهجاتهم متباينة، ويتعذّر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي درج عليها، ثم نسخ منها الكثير بالعرضة الأخيرة، وليس الأمر كما توهمه بعض الناس من أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، والصواب أن قراءات الأئمة السبعة، بل العشرة التي يقرأ بها الناس اليوم هي جزء من الأحرف السبعة التي أُنزل بها القرآن، وهذه القراءات جميعها موافقة لخط المصاحف التي بعث بها الخليفة عثمان إلى الأمصار. وقد سوّغ كل واحد من القراء قراءة الآخر وأجازها وانعقد الإجماع على أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته، هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه المصحف العثماني الإمام، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه شيء، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله ﷺ من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر مقدم، وهذا ما تيسر[1] من البيان والسلام.

---

(١) ليس المقام هذا مقام إفاضة واستقصاء عن القراءات والقراء، وإنما المقصود لمحة موجزة، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب القراءات.

الباب الثاني

هدي رسول الله ﷺ في قراءة القرآن وعند استماعه وتوابع ذلك

في هذا الباب المهم من أبواب هذا الكتاب نعيش مع خير الهدي، وأطيبه وأنفعه، هدي محمد ﷺ، نستقي من منهله «فقه قراءة القرآن الكريم»، كما استقاه الجيل الأول من صحابته الكرام الذين تعلموا العلم والعمل معًا.

فكان هذا الباب «هدي النبي ﷺ في قراءة القرآن وعند استماعه، وتوابع ذلك» هُدى تنفتح معه أقفال القلوب لتقتبس من أنوار المعرفة وتجني ثمار الفهم.

وفقنا الله لذلك، وبالله نستعين، ومنه نستمد الحول والقوة.

فأقول وبالله تعالى التوفيق:

فصل

في هديه ﷺ في الاستعاذة

كان رسول الله ﷺ إذا همَّ بقراءة القرآن الكريم امتثل أمر ربه بالاستعاذة من الشيطان الرجيم.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].
فكان ﷺ يستعيذ عند بدئه للقراءة، فيقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ومعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: أي أستنجد بجناب الله من الشيطان الرجيم، أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه.

وإن المتأمل للقرآن والسنة يجد اعتناءهما بذكر التحذير من الشيطان وكيده والعمل على محاربته كثيرًا، وذلك لشدة الحاجة إلى التعوذ منه عند قراءة القرآن وغيره من سبل

الخير التي يسلكها الإنسان ، فالشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها ، فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك ويثبطه عنه ويفسده عليه ، وما من طريق سوء إلا والشيطان قاعد عليه يأمره به ويحثه عليه ويزينه في عينه ، والمعصوم من عصمه الله تعالى .

وفي الاستعاذة قول كثير انتشرت فروعه في علم أصول الفقه وأصول الحديث وأصول القراءات . فأما أصول الفقه فيُبْحث فيها عن التعوذ من حيث أن الأمر به في الآية ، هل هو للوجوب أم للندب ؟ وهل الآية واضحة الدلالة فيتعين لفظها أم مجملة فيصلح كل لفظ يدلُّ على التعوذ ؟

وأما أصول الحديث فيبحث فيها عن درجة الأحاديث الدالة على التعوذ وعن سندها وحال رواتها .

وأما أصول القراءات فيبحث فيها عن التعوذ من حيث الجهر به والإخفاء ومن حيث الوقف عليه أو وصله بما بعده .

وفيما يلي أوجز أرجح الأقوال ، وعلى الله الاتكال :

أولًا : فمن حيث الأمر بالتعوذ في الآية ، فقد ذهب جمهور العلماء إلى أنه أمر ندب – أي استحباب – وليس بواجب[*] .

حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة . وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنها واجبة عند ابتداء القراءة ، وحكى الرازي عن عطاء بن رباح ذلك ، واحتج بظاهر الأمر في الآية[1] .

قلت : والصواب ما قاله الجمهور من أن الأمر بالتعوذ في الآية أمرُ ندبٍ وليس

(*) الواجب شرعًا : هو طلب الشارع الفعل على سبيل الحتم والإلزام ، بحيث يذم تاركه ومع الذم العقاب ، ويمدح فاعله ومع المدح الثواب والواجب هو الفرض عند الجمهور .

الندب : هو طلب الشارع الفعل على سبيل الترجيح لا الإلزام بحيث يمدح فاعله ويثاب ، ولا يذم تاركه ولا يعاقب . (انظر الوجيز في أصول الفقه ص ٢٩) .

(١) مقدمة ابن كثير (ج ١ ص ١٥) .

بواجب ، والذي صرفه عن الوجوب - حيث إن كل أمر من الشارع يقع موقع الوجوب إلا إذا صرفه صارف - والصارف عن الوجوب هنا هو حديث أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال : بينما رسول الله ﷺ بين أظْهُرِنا في المسجد ، إذا أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسمًا ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ، قال : « لقد أنزلت عليّ آنفًا سورة » ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر : ١- ٣] ، ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ...» الحديث[١] .

والشاهد : أنه ﷺ لم يستعذ ، ولو كانت الاستعاذة واجبة لما تركها .

وعن كون الاستعاذة هل هي قبل التلاوة أو بعدها ؟ قالت طائفة من القراء وغيرهم : يتعوذ بعد القراءة ، واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ، والمشهور[*] الذي عليه الجمهور ؛ أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها ، ومعنى الآية عندهم : (فَإِذَا قَرَأت القُرآنَ فَاسْتَعِذ باللّٰه مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) أي : إذا أردت القراءة ، كقوله تعالى : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة : ٦] أي : إذا أردتم القيام . والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ .

ذلك لأن المقصد من الاستعاذة عند ابتداء القراءة ؛ لئلا يلبّس الشيطان على القارئ قراءتهُ ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر ، كما أن فيها تمهيدًا للجو الذي يتلى فيه كتاب الله وتطهيرًا له من الوسوسة ، واتجاهًا بالمشاعر إلى اللّٰه خالصة لا يشغلها شاغل من عالم الرجس ، والشر الذي يمثله الشيطان[٢] .

وأما عن الصفة المختارة للاستعاذة فهي قول : « أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم » . قاله النووي[٣] .

وقال صاحب النشر : هي الصفة المختارة لجميع القراء من حيث الرواية[٤] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ج ٣ ص ١٠٢) ، مسلم بشرح النووي (ج ٤ ص ١١٣) واللفظ لمسلم .
(*) المشهور : أي المعروف والذائع .
(٢) في ظلال القرآن (ج ٤ ص ٢١٩٤) . (٣) الإتقان في علوم القرآن (ج ١ ص ١٣٩) .
(٤) النفحات الإلهية في شرح الشاطبية ص ٥٤.

قلت : نعم ، وهي أقرب لمطابقة لفظ القرآن ، لكن بغير تقييد القارئ بلفظها ، بل يجوز له النقص عنها ، كأن يقول : « أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم » ، والزيادة عليها كأن يقول : « أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم » ، فالآية مجملة – أي مطلقة – تحتمل أن يزاد عليها أو يُنقص .

وبالبحث عن الأحاديث الدالة عن التعوذ وعن سندها وحال رواتها ، وفي ذلك تفصيل ملخصه :

أن الأحاديث الدالة على ترك الزيادة عن آية النحل ضعيفةٌ معارضةٌ بأصح منها سندًا[1] .

وفي الجهر بالاستعاذة أو إخفائها أقوال للعلماء ، وفصل الخطاب في هذه المسألة هو أن التعوذ يستحب إخفاؤه في مواطن ، والجهر به في مواطن أخرى ، فمواطن الإخفاء :

١– إذا كان القارئ يقرأ سرًا ، سواء كان منفردًا أم في مجلس .

٢– إذا كان خاليًا – أي ليس معه أحد ، سواء قرأ سرًا أم جهرًا .

٣– إذا كان في الصلاة سواء كان إمامًا ، أم مأمومًا ، أم منفردًا ، ولا سيما إذا كانت الصلاة جهرية .

٤ – إذا كان يقرأ وسط جماعة يتدارسون القرآن – كأن يكون في مقرأة – ولم يكن هو المبتدئ بالقراءة .

وما عدا هذه المواطن يستحب الجهر بالتعوذ فيها سواء كان البدء بأول سورة أو في أثنائها إجماعًا عند القراء ، ففيه إظهار لشعار القراءة ، ويمكّن السامع من الإصغاء للقراءة من أولها ، فلا يفوته شيء منها[2] .

فائدة :

١– دلت السنة على أن الاستعاذة في الصلاة إنما تكون قبل الركعة الأولى فقط .

---

(١) ذكر هذه الأحاديث ، وأقوال أهل العلم فيها طويل لا يناسبه هذا المقام ، وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك .

(٢) الوافي في شرح الشاطبية (ص ٤٤) بتصرف .

وفي ذلك تفضيل علمت ملخصه فالزمه زادك اللَّه رشدًا[(١)].

٢- لو عرض للقارئ ما يقطع قراءته من الأمور الضرورية كعطاس أو تنحنح أو كلام يتعلق بمصلحة القراءة فلا يعيد الاستعاذة ، أما لو قطع القراءة بنية الإعراض عنها أو لكلام لا تعلق له بها فيستحب له أن يعيد الاستعاذة[(٢)].

٣- يبقى للتعوذ مسألة واحدة وهي حالتها مع ما بعدها من حيث الوقوف عليه أو وصله بما بعده ، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث - في الفصل الذي يلي هذا - عن البسملة ، إن شاء اللَّه تعالى ، وبه الثقة .

* * *

(١) نيل الأوطار (ج ٢ ص ١٩٨) .
(٢) الوافي في شرح الشاطبية (ص ٤٥) بتصرف .

فصل
في هَدْيِـهِ ﷺ في البسملة

كان رسول الله ﷺ لا يعرف فصْل السورة حتى ينزل عليه « بسم الله الرحمن الرحيم »[(١)]، وسبق الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ : « لقد أنزلت عليّ آنفًا سورة » ، فقرأ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتى ختمها[(٢)] .

ومعنى « بسم اللّه الرحمن الرحيم » : أي أبدأ « بسم الله » وبعونه وتوفيقه وبركته ، وهذا تعليم من اللّه تعالى لعباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها حتى يكون الافتتاح ببركة اللّه عز وجل .

وهي تستحب في أول كل عمل وقول تيمنًا وتبركًا واستعانة على الإتمام والتقبل ، فتشرع التسمية عند ابتداء الطعام ، وعلى الذبيحة ، وعند دخول البيت ، وعند الخروج منه ، وعند الوضوء ، وعند النوم ... إلى غير ذلك . فباسمه إذن يكون كل ابتداء ، وباسمه إذن تكون كلُّ حركةٍ وكلُّ اتجاه .

وقد افتتح بها الصحابة كتاب الله تعالى واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة « النمل » من قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل : ٣٠] .

كما أنه لا خلاف في إثباتها خطًّا في أوائل السور في المصحف إلا في أول سورة التوبة ، وذلك لما انطوت عليه هذه السورة من الأمر بالأخذ والعذاب والنكال على الكفار ، ولا يناسب ذلك ما تحمله البسملة من أمان ورحمة .

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط الشيخين ، والبيهقي وأبو داود ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج ٢ ص ٨٧٨) رقم (٤٨٦٤) .

(٢) الحديث سبق تخريجه (ص ٢٦) .

أما التلاوة فقد أجمع القراء على الإتيان بها أول فاتحة الكتاب ، وعدَّها البعض آيةً من سورة الفاتحة كما سيأتي بيانُه .. كذا اتفقوا على الإتيان بها عند ابتداء القراءة بأول كل سورة ما عدا سورة التوبة « براءة » ، وأما في أجزاء السور فالقارئ مخير بين الإتيان بها من عدمه[١] .

وللبسملة مبحثان ؛ أحدهما يتعلق بحكمها في الصلاة ، والآخر خاص بأوجه الابتداء من حيث وصلها بالاستعاذة وبما بعدها ، أو قطع ذلك .

أولاً : بالنسبة لحكم البسملة في الصلاة :

فأقوال أهل العلم وأئمة المذاهب في هذه المسألة كثيرة ومتباينة ، فذهب ابن عباس وابن عمر ، وابن الزبير وأبو هريرة ، وعليّ إلى أنها آية من سورة الفاتحة ، ومن كل سورة سوى سورة براءة « التوبة » . وبه يقول سعيد بن جبير ، والزهري ، وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل في رواية عنه ، وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه : هي آية من الفاتحة وليست من غيرها[٢] .

واستدل أصحاب هذا القول بجملة أحاديث عن رسول الله ﷺ أذكر منها ما رواه أنس بن مالك أنه سُئل عن قراءة النبي ﷺ ، فقال : « كانت مدًّا ، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم »[٣] .

وحكي عن الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة أنها ليست آية في الفاتحة ولا في أوائل السور .

واستدل أصحاب هذا القول بجملة أحاديث عن رسول الله ﷺ ، أذكر منها حديث أنس رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر - رضي الله عنهما -

---

(١) الشاطبية في القراءات السبع وشروحها .
(٢) تفسير ابن كثير (ج ١ ص ١٧) .
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٩٠) .

كانوا يفتتحون الصلاة بـ « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »[(١)] .

وأما القول في الجهر بها أو الإسرار فمداره على هذا ، فمن قال بأنها آية قال بالجهر بها ، فذهب الشافعيُّ رحمه اللّه إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة ، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفًا وخلفًا ، فجهر بها من الصحابة أبو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، ومن التابعين : عكرمة ، والزهري ، وابن المسيب ، ومجاهد وغيرهم ، ومن رأى أنها ليست آيةً قال بعدم الجهر بها ، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة ، وعبد اللّه بن مغفل ، وطوائف من سلف التابعين ، والخلف ، وهو مذهب أبي حنيفة ، والثوري ، وأحمد بن حنبل[(٢)] .

فهذه أقوال الأئمة رحمهم اللّه في هذه المسألة وهي قريبة لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر بها ، وقد أجمعت الأمة لذلك أنه لا يكفَّر من أثبتها ولا من نفاها لاختلاف العلماء فيها بخلاف ما لو نفى حرفًا مجمعًا عليه أو أثبت ما لم يقل به أحد فإنه يكفر بالإجماع .

* قلت : والجمع بين هذه الأقوال هو الراجح ، وحاصله أنه ﷺ كان يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ تارة ، ويخفيها أكثر مما يجهر بها ، وهو قول الإمام ابن القيم الجوزية[(٣)] .

ثانيًا : بالنسبة لأوجه الابتداء من حيث وصلها بالاستعاذة وبما بعدها أو قطع ذلك ففيها أربعة أوجه[(٤)] :

١- الوقف على الاستعاذة ، ثم الوقف على البسملة ، ثم الابتداء بأول السورة ، وهذا الوجه أحسنها ، وهو فعل النبي ﷺ ، كما سيأتي بيانه .

٢- الوقف على الاستعاذة ، ثم وصل البسملة بأول السورة وهو يلي الوجه الأول

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٢ ص ٢٢٦) .
(٢) نيل الأوطار : باب ما جاء في بسم اللّه الرحمن الرحيم (ج ٢ ص ١٩٨) .
(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد (ج ١ ص ١٤١) .
(٤) الشاطبية في القراءات السبع وشروحها بتصرف .

في الأفضلية .

٣- وصل الاستعاذة بالبسملة والوقف عليها ، ثم الابتداء بأول السورة ، وهو أفضل من الأخير .

٤- وصل الاستعاذة بالبسملة بأول السورة ...

يستثنى من ذلك سورة براءة لامتناع البسملة في أولها بالاتفاق ، فإذا كان القارئ مبتدئًا بأول « براءة » فله فيها وجهان :

١- الوقف على الاستعاذة وفصلها عن أول السورة بدون بسملة .

٢- وصل الاستعاذة بأول السورة بدون بسملة كذلك .

هذا إن كان ما بعد البسملة أول السورة ، وأما إن كان في أثناء السورة - أي غير افتتاح السورة - ولو الآية الثانية ففي هذه الحالة يجوز الإتيان بالبسملة أو تركها كما سبق الإشارة لذلك آنفًا ، فإذا أتى بها ففيها الأوجه الأربعة السالفة ، وأما إن تركت البسملة ففيها وجهان :

١- الوقف على الاستعاذة وفصلها عن أول الآية المبتدأ بها .

٢- وصل الاستعاذة بالآية المبتدأ بها ، إلا إذا كانت مبدوءة بلفظ الجلالة ، فالأولى عدم الصلة لما في ذلك من البشاعة .

فائدة في أوجه ما بين السورتين :

إذا وصل القارئ آخر سورة يقرؤها بالتي بعدها سوى سورة « براءة » فله ثلاثةُ أوجه :

١- الوقفُ على آخر السورة وعلى البسملة ثم الابتداء بأول السورة .

٢- الوقفُ على آخر السورة ثم وصل البسملة بأول السورة التالية .

٣- وصل آخر السورة بالبسملة بأول السورة التالية .

* أما الوجه الجائز عقلًا وهو وصل آخر السورة بالبسملة والوقف عليها فهو ممتنع

اتفاقًا لأن البسملة شرعت لأوائل السور لا لأواخرها .

أما إذا وصل القارئ آخر سورة (الأنفال) بأول سورة (براءة) وهي التي تلي (الأنفال) في ترتيب سور المصحف ، فله ثلاثةُ أوجهٍ لجميع القراء :

١- القطع : أي الوقف على آخر الأنفال مع التنفس .

٢- السكت : أي قطع الصوت بين السورتين لمدة يسيرة بدون تنفس .

٣- الوصل : أي وصل (الأنفال) بأول (التوبة) ، وكل ذلك بغير بسملة . كما تقدم ، ولله الحمد والمنة .

* * *

فصل
في هديه ﷺ في أحوالِ قراءته القرآن

كان له ﷺ حزب يقرؤه ، ولا يُخِلُّ به ، وكان يقرأ القرآن قائمًا ، وقاعدًا ، ومضجعًا ، ومتوضئًا ، ومحدثًا ، وفي سيره ، وركوبه ، وسائر أحواله ، ولم يكن يمنعه من القراءة شيءٌ ﷺ .

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم والمسلمةُ . فمع النظر ومع اعتبار الأعذار ، لابد لكل مسلم ومسلمة من تلاوة في كتاب الله لابد لكل يوم من نظرة في كتاب الله .

قال تعالى : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وعن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح »(١) .

وهذه سنة أحياها كثير من الصالحين في هذه الأيام ، فترى الواحد منهم وهو في طريقه للعمل أو الدراسة ، في القطار أو السيارة يفتح كتاب الله يقرأ فيه .. زادهم الله رشدًا .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن »(٢) .

قلت : وهذه من الأفعال التي كان يعملها رسول الله ﷺ أحيانًا لبيان إباحتها فلا تُتَّخذُ دائمًا .

وأما القراءة في الطريق فالمختار أنها جائزة غير مكروهة إذا لم يلته صاحبها ، فإن التهى كرهت ولو قرأ قائمًا أو مضجعًا ، أو في فراشه ، أو على غير ذلك من الأحوال ،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٨٣) .
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٣ ص ١١١) .

جاز وله أجر، ولكن دون الأول يعني دون من جلس متخشعًا بسكينة فهذا هو الأكمل ولا شك[١].

وهنا تتوارد بعضُ المسائل الفقهية :

المسألة الأولى : (وهي هل يجوز للحائض أو النفساء والجنب قراءة القرآن ؟) .

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال مشهورة أعرضها ثم أذكر الراجح منها الذي تقوم به الأدلة .

القول الأول في هذه المسألة :

فهو المنع ، واستدل المانعون بحديثين لا يصلحان للاحتجاج بهما باتفاق أهل المعرفة بالحديث وذلك لعدم ثبوتهما عن رسول الله ﷺ لما اعتراهما من ضَعْفٍ في السند فلا يغتر بهما المانعون ، ومن سلك مسلكهم .

فالحديث الأول : عن عليّ رضي اللَّه عنه ، وفيه أن النبي ﷺ « كان يقضي حاجته ، ثم يخرج فيقرأ القرآن ، ويأكل معنا اللحم ، ولا يحجبه من القرآن شيء إلا الجنابة » .

فهذا الحديث فيه أنه موقوف[٢] على عليّ رضي اللَّه عنه ، ثم إنه ليس فيه نهي عن قراءة الجنب والحائض ، بل هو مجرد فعل ، واستدل على المنع أيضًا بحديث جابر ، وابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا[٣]: « لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئًا من القرآن » . وهو حديث ضعيف السند لا يثبت عن رسول الله ﷺ[٤].

فلا يعول على هذا القول ولا يصار إلى القول بالمنع أو التحريم في هذه المسألة أو في غيرها إلا بدليل .

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي (ص ٣٨، ٣٩) بتصرف .

(٢) الموقوف : هو الموقوف على الصحابي قولاً أو فعلاً .. وهو الذي يسميه كثير من الفقهاء والمحدثين أيضًا (أثرًا) .. وليس الموقوف حجة (انظر الباعث الحثيث ص ٣٧) .

(٣) المرفوع : هو ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً عنه ، « نفس المصدر السابق » .

(٤) راجع هذه الأحاديث وأقوال أهل العلم بشأنها وكيف أنها لا تنهض للاستدلال لما اعترى سندها من علل الحديث . نيل الأوطار (ج ١ ص ٢٢٥: ٢٢٧) .

أما القول الثاني :

فهو إباحةُ القراءة حال الحيض والجنابة بشرط أن تكون القراءة نظرًا بالعين أو تأملًا بالقلب بدون نطق باللسان ، مثل أن يوضع المصحف أو اللوح فينظرُ إلى الآيات وتقرأ بالقلب . نقل هذا القول عن بعض أهل العلم[١] .

أما القول الثالث :

فهو القول بجواز القراءة والتلفظ للحائض والجنب وأصحاب هذا القول هم الأكثرون ، فقال به الإمام البخاري ، وابن جرير الطبريُّ ، وابن المنذر ، وحكى عن مالك ، والشافعي – رحمهم اللَّه جميعًا[٢] – وذلك لما ثبت عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللَّه – في تحقيق هذه المسألة : « ليس في منعها من القرآن سنة أصلًا فإن قوله : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن » حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، وقد كان النساء يحضن على عهد النبي ﷺ ، فلو كانت القراءة محرمة عليهن كالصلاة لكان هذا مما بينه النبي ﷺ لأمته وتعلّمه أمهات المؤمنين ، وكان ذلك مما ينقلونه في الناس ، فلمّا لم ينقل أحد عن النبي ﷺ في ذلك نهيًا لم يجزْ أن تجعل حرامًا مع العلم أنه لم ينه عن ذلك ، وإذ لم ينه عنه مع كثرة الحيض في زمنه ، عُلِمَ أنه ليس بمحرم »[٤] .

قلت : (وجواز قراءة القرآن للحائض والجنب هو الرأي الراجح عندي ، والذي تقوم به الأدلة وترتاح له النفسُ . واللَّه أعلم) .

أما المسألة الثانية : والتي تدعو الحاجة لذكرها لأهميتها « فهي هل يجوز للحائض

---

(١) نقل هذا القول عن الإمام النووي في شرح المهذب (ج ٢ ص ٣٥٦) . ورجحه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص ٢١) : الدماء الطبيعية للنساء .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١ ص ٤٠٨) .

(٣) رواه مسلم بشرح النووي (ج ٤ ص ٦٨) .

(٤) الفتاوى مجموعة ابن القاسم (ج ٢٦، ص ١٩١) .

أو الجنب مس المصحف ؟ » .

وفي هذه المسألة قولان لأهل العلم أعرضهما ثم أذكر الراجح منها :

* **القول الأول بعدم جواز المس :**

واستدل المانعون بقوله تعالى : ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٩] ، وأجيب على هذا القول بأن المراد بالضمير في قوله : ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ **هو الكتاب المكنون** الذي في السماء ، و« المطهرون » هم الملائكة ، وهو قول أكثر المفسرين ، **وحتى لو سلم** رجوع الضمير إلى القرآن لكانت دلالته على المطلوب من المنع من مسه **غير مسلمة ؛ لأن** المطهر من ليس بنجس ، والمؤمن ليس بنجس دائمًا ؛ لحديث : « **إن المؤمن لا ينجس** »[1] . وعليه فلا يصلح حمل المطهّر على من ليس بجنب ولا حائض ، **بل يتعين حمله على من** ليس بمشرك ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة : ٢٨] .

واستدل المانعون أيضًا بما روي عن النبي ﷺ **من قوله : « لا يمس القرآن إلا** طاهر »[2] ، وكل طرق هذا الحديث ضعيفة ، فالحديث سنده ضعيف **وهو لا يصلح أصلًا** للاحتجاج للقول السابق في معنى لفظ « طاهر » ، وقد عرفته .

أما القول الثاني : فهو رأي القائلين بجواز مس المصحف حال الحيض **(أو** النفاس) والجنابة .

وحجتهم هي كون الأدلة الواردة على المنع لا يتم بها الاستدلال ، **ومن القائلين** بجواز مس المصحف للحائض والجنب داود وابن حزم .

قلت : والقول بجواز مس المصحف أو حمله حال الحيض أو الجنابة هو الذي تقوم به الأدلة ، فليس الدين بالاستحسان أو الرأي في شيء .

لكن مع اعتبار جواز المس : فماذا يمنع الحائض إن هي أرادت أن تمس المصحف

---

(١) رواه مسلم بشرح النووي (ج ٤ ص ٦٧) . بلفظ سبحان الله إن المؤمن لا ينجس .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وغيره كالبيهقي والطبري وفي كل طرقه ضعف ، فهي إما مرسلة ، وإما عن متروك أو ضعيف . انظر نيل الأوطار (ج١ ص ٢٠٥) .

لتقرأ القرآن أن ترتدي في يدها قفازًا إعظامًا منها وإكبارًا لكتاب الله . وماذا يمنع الجنب إن أراد أن يقرأ أن يغتسل ويزيل الأذى ، فالأكمل في حق كتاب اللَّه أن يُقرأ على وضوء مع تنظيف الفم بالسواك ، والتطيب – إن أمكن – وأن تكون القراءة في جو تتحقق فيه النظافة وترفرف عليه السكينة ، فهذه الأفعال وغيرها من مظاهر تعظيم كتاب الله عز وجل .

ولقد كان الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه ثم خرج فحدث .

وهناك بعض المسائل التي تهم قارئ القرآن سأذكرها مفصلة في الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب – إن شاء الله – والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* * *

فصل

في هديه ﷺ في تجويد القرآن

كانت قراءته ﷺ ترتيلًا لا هَذًا كهذّ الشعر ، ولا عجلة بالإسراع في القراءة ، بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا ، قراءة لينة سهلة ، وكان ﷺ يقطّع قراءته آية آية ، يقف على رؤوس الآي ، ولا يَصِلُها بما بعدها ويمد بها صوته .

وهذا يدل على أن هناك صفة معينة وكيفية ثابتة لقراءة القرآن الكريم ، لا بد لكل مسلم ومسلمة من تعلُّمِها والاجتهاد في تحقيقها عند تلاوته لكتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٤] .

فعن أم سلمة رضي اللّه عنها أنها سُئِلت عن قراءة رسول الله ﷺ ؟ فقالت : « قراءة رسول الله ﷺ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقطع قراءته آية آية » .

وفي رواية : « كان إذا قرأ قطع آية آية . يقول : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، ثم يقف ... الحديث »[(١)] .

وعن قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال : « كان يَمُدُّ مَدًّا »[(٢)] .

وهكذا كانت صفة قراءته ﷺ والتي علمها أصحابه – رضي اللّه عنهم – فكان يتعاهدهم بإسماعهم القراءة أحيانًا ، وبالاستماع لهم أحيانًا أخرى ، ومن هؤلاء النفر من الصحابة من أتقنوا القراءة حتى صاروا فيها أعلامًا يقتدى بهم ، ويؤخذ عنهم كأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وعلي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ،

---

(١) رواه أبو داود (ج٤ ص ٣٦) ، وصححه الحاكم ووافقه الإمام الذهبي ، وهو في الإرواء (ج٢ ص٥٩) ، ورواه أبو عمرو الداني ، وقال : ولهذا الحديث طرق كثيرة وهو أصل في الباب .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٩٠) .

وسالم مولى أبي حذيفة ، وغيرهم .

وبدأ الناس يتعلمون القراءة منهم ، وتواتر تلقي القرآن عن طريق المشافهة ، وصارت قراءة القرآن سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، وقد ثبت عن زيد بن ثابت قوله : « القراءة سنة ... »[(١)] .

وعن موسى بن يزيد الكندي - رضي الله عنه - قال : كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقرئ رجلاً ، فقرأ الرجل : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ » مرسلة ، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرئنيها رسول الله ﷺ . فقال الرجل : وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أقرئنيها هكذا : « إِنَّمَا الصَّدَاقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ والمَسَاكِينِ » ومدها[(٢)] .

وهكذا أنكر ابن مسعود - رضي الله عنه - على الرجل أن يقرأ كلمة « الفقرآء » بالقصر ؛ لأن النبي ﷺ قرأها وأقرأه إياها بإطالة الصوت عند الألف ، وهو من حروف المد الثلاثة مع الواو والياء .

وصفة القراءة التي سبق الإشارة إليها ، والتي تلقاها النبي ﷺ عن أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وكان يعارضه إياها في كل عام مرة ، وفي العام الذي توفي فيه مرتين ، والتي أقرأها أصحابه - رضي الله عنهم - وعلمهم إياها ، وحثهم على تعلمها ، والقراءة ، والإقراء بها . وتواتر نقلها جيلاً بعد جيل بأعلى درجات الرواية وهي المشافهة ، حيث يتلقى القارئ القرآن عن المقرئ ، والمقرئ قد تلقاه عن شيخه ، وشيخه عن شيخه ، وهكذا .. حتى تنتهي السلسلة إلى النبي ﷺ .

هذه الصفة التي هي اصطُلح على تسميتها بعد ذلك بـ « علم التجويد » .

وإن أول من وضع قواعد التجويد العلمية أئمة القراءة واللغة في ابتداء عصر التأليف في القرن الثالث الهجري ، وذلك بعدما كثرت الفتوحات الإسلامية وانضوى تحت راية

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت (ج٢ ص ٢٦٠) بتحقيق د . سعد بن عبد الله وصححه ، -كذا صححه الحاكم ووافقه الإمام الذهبي .

(٢) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (ج ٣ ص ٢٥٠) ، وقال : أخرجه سعيد بن منصور والطبراني وابن مردويه .

الإسلام كثير من الأعاجم واختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي ، وفشى اللحن على الألسنة .

فخشي ولاة المسلمين أن يفضي ذلك إلى التحريف في كتاب الله تعالى ، فعملوا على تلافي ذلك ، وأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة كتاب اللّه عز وجل من اللحن ، فأحدثوا فيه النقط والشكل ، بعد أن كان المصحف العثماني خاليًا منهما ، ثم وضعوا قواعد التجويد حتى يلتزم كل قارئ بها عندما يتلو شيئًا من كتاب الله .

وهذا العلم – ولا شك – هو حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة ، وهو إعطاء الحروف حقها من الصفات اللازمة لها ، ومستحقها من الأحكام الناشئة عن تلك الصفات .

كما أن لتعلمه أهمية كبيرة ، حيث يعين المسلم والمسلمة على تلاوة كتاب اللّه غضًّا كما أُنزل .

وعلم التجويد وإن كان صناعة علمية لها قواعدها ، فإنه لا يكتسب بالدراسة بقدر ما يكتسب بالممارسة ، والمرانة ، والسماع من المشايخ ، وقراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه .

قال ابن الجزري – رحمه الله – وهو من أئمة القراءات : « ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن »[(١)] .

هذا ، وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا – أي خطأً في القراءة وميلًا عن الصواب – سواء كان هذا اللحن **جليًا ظاهرًا** يتعلق بمبنى الكلمة كالخطأ الإعرابي أو الصرفي أو **لحنًا خفيًا** يتعلق بعرف القراءة كترك بعض أحكام التجويد أثناء القراءة .

أما اللحن الجلي الظاهر :

فهو حرام ، ولا سيما إذا تعمده القارئ أو تساهل فيه فأخل بالمعنى .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج ١– ١٣٢) .

وأما اللحن الخفي :

فحكمه بين الكراهة والتحريم بحسب تعمد القارئ له وتساهله فيه ، ولكونه يذهب برونق القراءة .

قال ابن الجزري في النشر :

(والناس في ذلك بين محسن مأجور ، ومسيء آثم ، أو معذور . فمن قدر على تصحيح كلام الله باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد استغناء بنفسه واتكالًا على ما ألفه من حفظه واستكبارًا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه ، فإنه مقصر – بلا شك – وآثم – بلا ريب ، وأما من كان لا يطاوعه لسانه أو لا يجد من يهديه إلى الصواب « فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها »[1] .

قلت : على الجانب الآخر فإني أحذر من المبالغة في التجويد إلى حد الإفراط ، والتكلف في النطق ، أو التعسف . فهذه المبالغة ليست أقل من اللحن ، لأنها زيادة في الحروف في غير مواضعها .

إذ القراءة كالبياض إن قل صار سمرة ، وإن زاد صار برصًا ، ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم تبين له أن التنطع والتشدق في إخراج الحروف ليس من سنته .

إذن فلتكن القراءة بالطبع والسليقة التي جبل عليها المرء من غير زيادة ، ولا نقص ، حتى يجاوز الحناجر إلى القلوب . فتعيه وتعمل به ، وذلك هو حق تلاوته ، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة : ١٢١] .

ومن يؤمن به ويتبعه يهبط به على رياض الجنة .

* * *

(١) من كتاب غاية المريد في علم التجويد للشيخ عطية قابل نصر وغيره بتصرف .

فائدة في مراتب أو كيفيات القراءة

للقراءة باعتبار الصفة التي سبق الإشارة إليها وهي – الترتيل[1] – مراتب أو كيفيات ثلاث على ما نقل عن الأئمة القراء ورجحه المحققون من أهل الأداء .

وهذه المراتب هي : التحقيق ، والحدر ، والتدوير .

فالتحقيق : عبارة عن إعطاء الحروف حقها من إشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات وتوفية الغنات وملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع والإتيان بالإظهار والإدغام على وجهه من غير تشدق ولا إسراف ولا تصنع ولا اعتساف ولا خروج عن الجادة إلى حد الإفراط وهي تستحسن في مقام التعليم وتستحب حال التلقي والأخذ عن الشيوخ .

والحدر : عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومد ووقف ووصل وغير ذلك .

والتدوير : عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة .

وهذه المراتب كلها جائزة لمن أراد أن يقرأ كتاب الله تعالى .

وقد اختلف العلماء في الأفضل من هذه المراتب أو الكيفيات ، ولكلٍّ منهم وجهته ، وتحقيق المسألة أن الأفضل منها ما وافق الطبع وكان أقرب لفهم القرآن وتفقهه والعمل به ، فمن الناس من إذا حدر في القراءة كان أخف عليه وإذا حقق أخطأ ، فيستحب لكل إنسان ما يوافق طبعه ويخف عليه ، أما عند تساوي الأمران فالتحقيق أولى ... والله أعلى وأعلم[2] .

* * *

(١) الترتيل ليست مرتبة مستقلة بذاتها ، بل صفة ملازمة لكل مرتبة من المراتب الثلاث المتقدمة على ما حرره الإمام ابن الجزري ، وحققه العلامة السمنودي .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر شرح بهجة اللحاظ بما لحفص من روضة الحفاظ في بيان أوجه الأحكام المترتبة على القصر من طريقه لكاتبه .

فائدة في الوقف والابتداء

إن علم الوقف والابتداء له أجل الأثر في حسن التلاوة وجودة القراءة ، ففي معرفة الوقف والابتداء - الذي دونه العلماء - تبيين معاني القرآن العظيم وتعريف مقاصده وإظهار فوائده ، فهو زينة القارئ ، وبلاغ التالي ، وفهم للمستمع ، وفخر للعالم ، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين ، والنقيضين المتباينين ، والحكمين المتغايرين ، فرب قارئ يقرأ ويقف قبل تمام المعنى فلا يفهم هو ما يقول ولا يفهمه السامع ، بل ربما يُفهم من ذلك غير المعنى المراد ، وهذا فساد عظيم ، ولما كان القارئ للقرآن الكريم لا يستطيع أن يقرأ السورة أو الآية أحيانًا في نفس واحد علمًا بأنه من غير المقبول ومن غير الجائز التنفس بين كلمتين أحدهما متصلة بالأخرى ، ولا في أثناء الكلمة الواحدة ؛ لذا تظهر أهمية ما ينبغي أن يُوقف عنده وما لا يوقف ، وليس أصلًا في القرآن الكريم من وقف واجب ولا ممنوع ، وإنما يرجع ذلك إلى ما يترتب على الوقف والابتداء من إيضاح المعنى المراد أو إيهام غيره ، فإن كان الوصل يغير المعنى لزم الوقف ، وإن كان الوقف يغير المعنى لزم الوصل .

والذي ثبت عن رسول الله پ في هذا الصدد وقوفه على رؤوس الآي ، وما عداها جائز ما لم يوهم خلاف المعنى المراد .

وكذلك القول في الابتداء ، فينبغي أن يكون بكلام مستقل في المعنى موفٍ بالمقصود ، بحيث لا يغير ما أراده الله تعالى ، ويمتنع الابتداء بكلام يفسد المعنى أو يغير المقصود منه ، ومن لم يلتفت لهذا ويقف حيث شاء فقد خرق الإجماع وحاد عن إتقان القرآن وتمام التجويد . وبالله التوفيق[1] .

* * *

(١) لمزيد من التفصيل حول أهمية معرفة (الوقف والابتداء) وأثرهما في بيان معاني التنزيل . انظر « الوصل والوقف » د . أحمد شرشال الجزائري - « معالم الاهتداء » للشيخ الحصري .

فائدة في علامات الوقف في الطباعة الحديثة للمصاحف

جعل العلماء لأقسام الوقف رموزًا وعلامات في المصاحف يعرف بها حتى يسهل على القارئ لكتاب الله أن يقرأه على الوجه الصحيح ، وفيما يلي بيان لهذه العلامات ومدلولاتها :

(م) : علامة الوقف اللازم .

نحو : قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران : ٧] .

(لا) : علامة الوقف الممنوع .

نحو : قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل : ٣٢] .

(قلى) : علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى من الوصل .

نحو : قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ﴾ [الرعد : ١١] .

(صلى) : علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى من الوقف .

نحو : قوله تعالى : ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦] .

(ج) : علامة الوقف الجائز جوازًا مستوى الطرفين .

نحو : قوله تعالى : ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

(.·. .·.) : علامة تعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر .

نحو قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] .

وبالله تعالى التوفيق .

فصلٌ
في هديه ﷺ في تدبر القرآن

كان رسول الله ﷺ إذا شرع في قراءة القرآن شأنه التدبر والخشوع والتفكر. والدلائل على فعله ذلك وصحابته وسلف هذه الأمة أكثر من أن تحصر، والحث على ذلك من الله – سبحانه وتعالى – أجلى وأظهر – فبه تنفتح القلوبُ فتدرك المقاصد الصحيحة والآيات العقلية الصريحة، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وصفة ذلك أن يشغل القارئ قلبه بالتفكر في معنى ما يقرأ، ويتجاوب مع كل آية بمشاعره وعواطفه، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك.

فإن كان ممن قصر فيه فيما مضى اعتذر، واستغفر، وإن كان ممن وفق للعمل به شكر، وكبر. وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، وإذا مر بآية عذاب أشفق وتعوذ، إلى غير ذلك من معاني الآيات.

ويستعان على كشف هذه المعاني وإبانتها بأحد كتب التفسير[1]، فإن تفاوت الإدراك بين الناس أمرٌ لا مراء فيه.

فعن حذيفة بن اليمان قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها يقرأ مترسلًا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ ....» الحديث[2].

وفي الفتح أن رجلًا سأل ابن عباس قال: «إني سريع القراءة وإني لأقرأ القرآن في

(١) أعظم تفسير عند المسلمين هو تفسير ابن جرير الطبري، وابن كثير الدمشقي، وإن كان لابد من أحدهما فتفسير ابن كثير.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٦١).

ثلاث ، فقال : لأن أقرأ البقرة أرتلها فأتدبرها خيرٌ من أن أقرأ كما تقول »[1] .

وذكر الإمام السيوطي عن ابن مسعود قوله : قفوا على عجائبه وحركوا به القلوب ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة[2] .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده . حتى إن أحدهم ليقول : قرأتُ القرآن كله . ما يرى له القرآن في خلقٍ ولا عمل[3] .

وهكذا ينبغي لتالي القرآن أن ينظر كيف لطف الله بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ، ويتدبر كلامه ، ويتفهم معانيه ، وما أراد الله منا بهذا القرآن ، ويطبّع نفسه على قبول ما جاء به قبولًا ينعكس أثره ، ويظهر في العمل والتنفيذ ، وأن يستوضح من كل آية ما يليق بها ، ويتفهم ذلك .

فإذا تلا قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام : ١] ، فلْيعلَم عظمته سبحانه وتعالى ويتلمح قدرته في كل ما يراه ، فهذه السماء من ذا رفعها بلا عمد ؟ ونثر فيها النجوم بلا عدد ، وهذه الأرض من ذا الذي سطحها ومهدها وشق فيها البحار والأنهار وأخرج من بطنها الثمار والأزهار ، فأيًا كان حظ الإنسان من العلم ، فهذه المشاهد يمكن أن يدركها فتحرك قلبه ووجدانه وجوارحه نحو الخالق المبدع سبحانه وتعالى .

وإذا تلا : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة : ٥٨، ٥٩] ، فليفكر في نفسه ، وكيف خلق الله هذه النطفة ، وكيف خلق منها السمع والبصر والعظام واللحم . أم هل يدعي أحد أنه خلقها ؟ وهذا أمر لا يدعيه أحد ، ولذا فهو لا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل ، فلا سبيل لرد هذا الاستفهام في هذه الآية من آيات القرآن وما يماثلها إلا بالإذعان الكامل لله رب العالمين الواحد سبحانه الذي لا يشاركه أحد في الخلق والإنشاء ، فلا يجوز أن يشاركه أحد في الربوبية والعبادة ، وهذا منطق واضح

(١) فتح الباري (ج ٩ ص ١٠٧) .
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج ١ ص ١٤٠) .
(٣) هذا الأثر المقطوع ذكره ابن كثير (ج ٤ ص ٣٤) . وقال : رواه ابن أبي حاتم .

بسيط يدركه كل إنسان أيًّا كان حظه من العلم ، فالنظرة الواعية ، وتدبر الآية وحدها يكفي .

وليتخل التالي لكتاب الله تعالى عن موانع الفهم ، والتي من أعظمها الذنوب ، والهوى ، فالعلم نور في القلب ، ونور الله لا يُهدى لعاصي ، ومن موانع الفهم كذلك . ما سبق وأن أشرت إليه ، حين حذرت من المبالغة في النطق بالحروف مثل أن يخيل الشيطان للقارئ أنه ما حقق تلاوة الحرف ، ولا أخرجه من مخرجه ، فيكرره التالي فيصرف همته عن فهم المعنى .

ومن أهم موانع الفهم - أيضًا - ما سوف يأتي ذكره في الفصل التالي من سماع اللغو والغناء ، فقبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده . وسر ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن ، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه إصغاء ، ولا فهمٌ لحديثه ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

* * *

فصل

في هديه ﷺ في استماع القرآن

كان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع القرآن من غيره ، وأمر عبد الله بن مسعود فقرأ عليه وهو يسمع ، وخشع ﷺ لسماع القرآن منه ، حتى ذرفت عيناه ﷺ .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليَّ القرآن » . فقلت : يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ قال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » . فقرأت عليه سورة النساء ، حتى إذا جئت إلى هذه الآية : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ قال : « حسبك الآن » فالتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان[1] .

وطلب استماع القراءة من القارئ حسن الصوت الذي يجيد التلاوة ويُفَصِّلُها أمر متفق على استحبابه ، وهو عادة الأخيار ، والصالحين من سلف هذه الأمة ، فللتلاوة الجيدة أكبر الأثر في فهم معاني القرآن ، لكن لا بد من تقييد ذلك بهدي رسول الله ﷺ عند الاستماع من الإنصات لتلقي الموحيات المؤثرة في القرآن الكريم والاستجابة لها ثم التدبر الذي يزيل الغشاوة ، ويفتح النوافذ ويسكب النور ، ويحرك المشاعر ويطمئن القلوب ، أما ما يفعله بعض الناس عند سماعهم للقرآن من رفع الأصوات وقولهم : « الله » أو ما شابه ذلك مما هو معلوم ، فهو بدعة منكرة ومصرفة عن فهم وتدبر القرآن الكريم .

ولـمّا كان القرآن الكريم هو الذكر الإلهي ، الذي تحيا به قلوب المؤمنين ، فتتفتح وتنشرح ، وتأنسُ ، وتطمئن ، وتلين لذكر الله ، وما نزل من الحق فتفهمه ، وتنقادُ له ، وتسمع له ، وتطيعه ، جاء التوجيه من الله لعباده المؤمنين إلى أدب الاستماع لهذا القرآن في الأمر بالإنصات له عند تلاوته إعظامًا له وإكبارًا ، ومخالفة للمشركين ، الذين كانوا

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٩٤) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٨٧) .

يتواصون فيما بينهم بعدم سماعه – فقالوا كما حكاه القرآن عنهم : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت : ٢٦] . لَمّا عجزوا عن مغالبته لعقولهم وقلوبهم رغم كفرهم .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]، وفي الآية أقوال كثيرة لأهل العلم تدور حول موضع الإنصات بمعناه في الآية ، وهو السكوت عن الكلام مع الاستماع[١] .

– أعرض لهذه الأقوال ، ثم أذكر الراجح منها :

قال القاسميُّ في « محاسن التأويل » : (وظاهر الآية يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها . وعليه أهل الظاهر ، وهو قول الحسن البصري ، وأبي موسى الأصفهاني) .

* وهو أيضًا قول الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ، والشوكاني في فتح القدير ، والسعدي في تفسيره وغيرهم[٢] .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في « جامع البيان » : (... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : أُمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه ...) .

* وتبعه في ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره ، حيث قال : لكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة ، وحجة من خص الأمر بالإنصات على الصلاة حديث رسول الله ﷺ : « إنَّما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا »[٣] .

---

(١) كذا في مختار الصحاح (ص ٦٦١) .

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي (ج ٧ ص ٢٩٣٤) ، والجامع (ج ٧، ص ٣٥٣) . وفتح القدير (ج ٢ ص ٢٧٨) ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ج ٣ ص ١٣٨) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٤، ص ١٣١) من حديث أبي موسى الأشعري .

قلت : والجمع بين هذه الأقوال هو الراجح لدي ، وهو كون الاستماع والإنصات للقرآن الكريم يدور حكمه بحسب المقام الذي يقرأ فيه . فإن كان في الصلاة ، أو كان المقام الذي يقرأ فيه مقام قراءة للقرآن ، كأن يكون الإنسان في مقرأة مثلًا وجب وتأكد الاستماع والإنصات .

أما ما عداها من الأحوال المختلفة التي يتنقل بينها الإنسان من عمل ، أو حديث أهل ، أو جلوس على طعام ، أو ما شابه ذلك . فالاستماع ، والإنصات بالمعنى الذي سبق الإشارة إليه يستحب ولا يجب ، فلا يقُلْ أحد : بأنه يجب على كل مسلم إذا سمع أحد يقرأ القرآن أن يشتغل بالاستماع وينصت ، إذ قد يكون القارئ يقرأ بمحضر صانع ، فلو وجب عليه الاستماع لأمر بترك عمله ، وهذا لا يصح بحال . والله أعلم .

ثم يسوق الله سبحانه وتعالى لنا مشهدًا من عالم الغيب ، وهو حكاية استماع نفر من الجن للقرآن ، ويصور لنا ما وقع في حسهم منه من التأثر والخشوع . فتعالوا بنا ننظر ماذا قالوا ...

قال تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

فإن أول ما قالوا حينما طرق القرآن أسماعهم أن تنادوا بالإنصات ، فكانت الاستجابة الطبيعية المستقيمة لسماع القرآن مع الإنصات له . اطمأنت قلوبهم إلى الإيمان وانصرفوا بعد ذلك متأثرين بجاذبية القرآن عند من يتلقاه بحس واع وقلب مفتوح ، هذا التأثر دعاهم منذ أول وهلة أن يكونوا دعاة إلى الله ، فانصرفوا بعد ما قضى إلى قومهم مبشرين ومنذرين . فعلًا لقد كان لهذا النفر من الجن قلوب يعقلون بها ، وذوقٌ ذواق ، ومشاعرٌ مرهفة .

فليعْتبر بهم من دونهم من بني البشر ممن يقولون بعدم تأثرهم بسماع القرآن وعدم تحرك قلوبهم به .

والعيب كل العيب في هذه القلوب الغافلة . يا ترى ما الذي صرفها عن التذوق والتأثر

بكتاب لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته حتى لو كان هذا الشيء هو الجبل بعظمته وغلظته وشموخه . قال تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١] .

فعندما يصل هذا الإيقاع إلى الحس البشري بلا عائق يعوقه ولا مانع يمنعه فإنه سوف يهزه هزًّا ويؤثر فيه تأثيرًا ويفعل فيه الأفاعيل ، مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه .. وها هو الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - « خرج ذات ليلة يتفقد أحوال الرعية يعس بالمدينة ، فمر بدار رجل من المسلمين ، فوافقه قائمًا يصلي ، فوقف يستمع قراءته ، وكان الرجل يقرأ من سورة « الطور » ، فلما بلغ قوله : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ قال رضي الله عنه : قسمٌ ورب الكعبة حق ، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث مليًا ثم رجع إلى منزله فمكث شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه »[(١)] .

وذلك سر القرآن ، فهناك لحظات خاصة غير مرقوبة تمس فيها الآية أو السورة موضع الاستجابة ، فإذا وافقت قلبًا مكشوفًا وحسًّا مرهفًا مفتوحًا نفذت إليه وفعلت به الذي فعلت فيكون منها ما يكون .

ومن تأثير هذا القرآن العجيب في النفوس ووقعه الهائل على القلوب أن تأثيره لا يقتصر على المؤمنين به فحسب ، بل يتعداه لغيرهم ، وكم سمعنا ورأينا الداخلين في دين الله أفواجًا بفعل عمل القرآن في قلوبهم ، وقوة سلطانه الذي لا يتحمله الجبل - لولا تثبيت الله له - فضلًا عن هذا القلب البشري ، وها هم أولاء مشركو قريش ، قد ضربوا لنا المثل على وقع كتاب الله على قلوبهم - رغم كفرهم - والنماذج على تقرير هذه الحقيقة كثيرة ، لا يسع المقام لسردها جميعًا ، أذكر منها على سبيل المثال :

* حادثة سجود المشركين مع المسلمين ، عندما قرأ رسول الله ﷺ سورة « النجم » ، فلما كان عند آخر آية منها وهي قوله تعالى : ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ لم

---

(١) هذا الأثر ذكره ابن كثير بسنده (ج ٤ ص ٢٤١) ، وعزاه للحافظ ابن أبي الدنيا .

يتمالك المشركون أنفسهم ، ومن ثم سجدوا ، سجدوا وهم مشركون ، وهم يمارون في الوحي والقرآن ، وهم يجادلون في اللّٰه ورسوله ، إنما سجدوا تحت وطأة القرآن ، وسلطانه على الوجود[١] .

وعن جبير بن مطعم قال : « سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير »[٢] . وكان جبير إذ ذاك مشركًا ، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك .

* وإنه لمن عظيم نعم الله علينا أن هيأ لنا في هذه الأيام مع تقدم العلم الحديث فرصة أوسع لخدمة كتاب اللّٰه من حيث سهولة استماعه على المذياع ، والمسجل ، ولعل الله يقيض لهذه الأمة أمر رشد . فتكون هناك قناة تليفزيونية للقرآن الكريم ، بدلًا من اللغو ، واللهو الذي يبث في البيوت على مدار الساعة ، والذي صرف الناس عن دينهم حتى صارت مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن . فلما انصرفوا صرف الله قلوبهم عن فهم كتابه ، فلا يجتمع بهتان الشيطان ، وقرآن الرحمن في قلب أبدًا .. وها هي أقوال الأئمة والعلماء في ذم الغناء وتحريمه ، وكونه صادًا عن ذكر الله ، وعن فهم كتاب الله ، فهل أنتم منتهون ؟

* **سُئل الإمام مالك عن الغناء ؟** فقال : إنما يفعله عندنا الفساق .

* **وقال الشافعي في كتاب « أدب القضاء »** : إن الغناء لهو مكروه ، يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه سفيه ترد شهادته .

* **وقال الإمام أحمد** : الغناء ينبتُ النفاق في القلب ، لا يعجبني .

* **وأما الإمام أبو حنيفة** : فإنه يكره الغناء ويجعلُه من الذنوب ، وصرح أصحابه بتحريم المعازف كلها[٣] .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٨ ص ٦١٤) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٨ ص ٦٠٣) .

(٣) من أراد المزيد فليراجع كتاب إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم (ج ١ ص ٢٣١) .

فائدة جليلة في شروط الانتفاع بالقرآن[1]

ونختم بها هذا الفصل .

* فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمعْ قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألف سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك ، وإن تمام التأثير موقوف على مؤثر مقتضى وهو القرآن ، ومحل قابل وهو القلب الحيّ ، وشرط التأثر بالكلام وهو الاستماع والإصغاء ، وانتفاء المانع عن الانتفاع ، والله أعلم وأحكم .

* * *

(١) من كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص ٥) بتصرف .

فصلٌ

في هَدْيه ﷺ في قراءته في الصلاة

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم - على حسب التفصيل السابق - قبل بدئه للقراءة في الصلاة ، ثم يقرأ الفاتحة ويقطِّعها آية آية يقف على رؤوس الآي ، ولا يصلها بما بعدها ، فيقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يجهر بها تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ، ثم يقف ، ثم يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ثم يقف ، وهكذا إلى آخر السورة ، وكذلك كانت قراءته ﷺ مدًّا ، يقف عند كل آية ويمد بها صوته[١] .

فإذا فرغ من الفاتحة ، أخذ في سورة غيرها ، وكان يطيلها تارة ، ويخففها لعارض من سفر ، أو سعال ، أو مرض ، أو بكاء طفل ، ويتوسط فيها غالبًا .

وكان يقول ﷺ : « إني لأدخلُ في الصلاة ، وأنا أريدُ إطالتها فأسمعُ بكاءَ الصبيّ فأتجوَّزُ في صلاتي ، مما أعلمُ من شدةِ وجدِ أمه من بكائه »[٢] .

وكان ﷺ لا يعين سورة في الصلاة بعينها لا يقرأ إلا بها إلا في الجمعة والعيدين .

وكان من هديه ﷺ قراءة السورة كاملة ، وربما قرأها في الركعتين ، وربما قرأ أول السورة . وأما قراءة أواخر السور وأواسطها ، فلم يحفظ عنه .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما القراءة بأواخر السور وأوسطها فلم يكن غالبًا عليهم ... إلى أن قال : ومن أعدل الأقوال قول من قال : يُكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانًا لئلا يخرج عما مضت به السنة ، وعادة السلف من الصحابة والتابعين[٣] .

---

(١) الوقوف على رؤوس الآي سنة أعرض عنها كثير من القراء في هذه الأزمنة ، فينبغي أن ينتبه لذلك ، فخير الهدي هدي محمد ﷺ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٢ ص ٢٠٢) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٣ ص ٤١٢) .

وها أنا سوف أشير إلى بعض ما كان يقرأه النبي ﷺ من السور ، والآيات في الصلوات الخمس المكتوبات وفي الجمعة والعيدين[١] . ولا يتوهمن أحد أنني أقصد بذكر هذه الأحاديث أن يتقيد العبد بهذه السور في صلواته ، ففي الأمر سعة ويسر ، فمن قرأ بها وبمثيلاتها في صلواته فقد أصاب الهدى ، ومن لم يستطع فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .

*** قراءته ﷺ في صلاة الفجر (الصبح) :**

كان ﷺ يقرأ في الفجر بنحو ستين إلى مائة آية يجهر فيها بالقراءة وصلاها بسورة « ق » ، وصلاها بـ « الرُّومُ » ، وصلاها بـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ، وصلاها بـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ في الركعتين كليهما ، وصلاها بـ « المعوذتين » ، وكان في السفر ، وصلاها فافتتح بسورة « المؤمنون » حتى إذا بلغ ذكر موسى وهارون في الركعة الأولى أخذته سعلة فركع وكان يطيل صلاة الصبح أكثر من سائر الصلوات ، وهذا لأن قرآن الفجر مشهود ، وأيضًا فإنها تكون عقب نوم والناس مستريحون لم ينشغلوا بعد في استقبال المعاش ، وأسباب الدنيا إلى غير ذلك .

وكان ﷺ يطيل في الركعة الأولى ويقصر في الثانية ، وكان يصليها يوم الجمعة بـ « آلم تنزيل ... السجدة » ، وسورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ كاملتين ، ولم يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض هذه وبعض هذه في الركعتين أو قراءة « السجدة » وحدها في الركعتين ، وهو خلاف السنة .

وكان ﷺ يقرأ هاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد ، وخلق آدم ، وذكر الجنة والنار ، وذلك مما كان ويكون في يوم الجمعة[٢] .

---

(١) كل ما سوف أذكره في هديه ﷺ في قراءته في الصلوات الخمس وفي الجمعة والعيدين ثابت عنه ﷺ في الصحيحين (أو في غيرهما بسند صحيح أو حسن) ، وذكر هذه الأحاديث بسندها لا يناسبه هذا المقام ، وهذه الأحاديث في مظانها من كتب الفقه . (باب القراءة بعد الفاتحة من فقه الصلاة) ، نيل الأوطار (ج٢ ص٢٢٦) . سبل السلام (ج ١ ص ٣٥٧) ، فقه السنة (ج ١ ص ١١٣) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (ج ١ ص ١٤٣) .

* **قراءته ﷺ في صلاة الظهر :**

كان ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين ، ويطيل في الركعة الأولى ، ما لا يطيل في الثانية ، يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى ، وكان يقرأ فيها تارة بقدر ثلاثين آية ، قدر قراءة « آلم. السجدة » ، وتارة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ ، وتارة بـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ ، ونحوها من السور بعد فاتحة الكتاب ، وكان يجعل الركعتين الأخيرتين أقصر من الأوليين قدر النصف قدر خمس عشرة آية[1] ، وربما اقتصر فيهما على الفاتحة .

* **قراءته ﷺ في صلاة العصر :**

كان ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر بفاتحة الكتاب وسورتين ، ويُطيل في الركعة الأولى أكثر منها في الثانية ، يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة ويقرأ فيها قدر نصف ما يقرأ في الركعتين الأوليين من الظهر ، وكان يجعل الركعتين الأخيرتين أقصر من الأوليين قدر نصفهما ، وكان يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب .

* **قراءتُهُ ﷺ في صلاة المغرب :**

كان ﷺ يقرأ فيها أحيانًا بقصار المفصل ، يجهر بالركعتين الأوليين منها بالقراءة ، فقرأ فيها بـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ ، وكان أحيانًا يقرأ بطوال المفصل ، فكان تارة يقرأ بـ « الطور » ، ومرة بـ « المُرْسَلاتِ » ، وصلاها مرة بـ « الأعراف » ، فقرأها في الركعتين ، فالمحافظة فيها على الآية القصيرة ، والسور من قصار المفصل خلاف السنة ، وهو فعل مروان بن الحكم ، وقد أنكر عليه زيد بن ثابت .

* **قراءته ﷺ في صلاة العشاء :**

كان ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العشاء من وسط المفصل يجهر فيها

---

(١) الزيادة على الفاتحة في الأخيرتين أحيانًا ثابت عنه ﷺ وعليه جمع من الصحابة منهم أبو بكر رضي الله عنه ، وهو قول الإمام الشافعي سواء ذلك في الظهر أو في غيرها . انظر (صفة صلاة النبي ﷺ لشيخنا الألباني رحمه الله - (باب القراءة بعد الفاتحة من فقه الصلاة) نيل الأوطار (ج ٢ ص ٢٢٦) . سبل السلام (ج ١ ص ٣٥٧) ، فقه السنة (ج١ ص١١٣) .

بالقراءة ، وكان مما يقرأ فيها ﷺ بـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ ، وبـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ ، وبـ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ وأشباهها من السور ، ونهى عن إطالة القراءة فيها .

فائدة في فقه قوله ﷺ : « إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والمريض ...» الحديث[1] :

التخفيف في الصلاة أمر نسبي يرجع إلى ما فعله النبي ﷺ وواظب عليه لا إلى هوى المأمومين ، فإنه ﷺ لم يكن يأمرهم بأمر ثم يخالفه ، وقد علم أن من ورائه الكبير ، والضعيف ، وذا الحاجة ، فالذي فعله هو التخفيف الذي أمر به ، فهديه ﷺ هو الحاكم على كل ما تنازع فيه المتنازعون .

*** قراءته ﷺ في الجمعة والأعياد :**

أما الجمعة ، فكان يقرا فيها بسورتي « الجُمُعَة » و« المُنَافِقُون » كاملتين وسورة « سبح » و« الغَاشِيَةِ » ، وأما الاقتصار على قراءة أواخر السورتين من ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلى آخرها ، فلم يفعله قط ، وهو مخالف لهديه الذي كان يحافظ عليه .

وأما قراءته في الأعياد ، فتارة كان يقرأ سورتي « ق » و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ كاملتين ، وتارة سورتي « سَبِّح » و« الغَاشِيَة » ، وهذا هو الهدي الذي استمر ﷺ عليه إلى أن لقي الله - عز وجل - لم ينسخه شيء .

والحمد لله في البدء والختام ، والصلاة والسلام على خير الأنام .

* * *

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٢ ص ٢٠٠) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٤ ص ١٨٤) واللفظ لمسلم .

الباب الثالث
قطوف من فضائل القرآن

هذا باب واسع كبير ، أُلِّفَ فيه العلماء كتبًا كثيرة ، أَنْتَقي من ذلك نُكتًا تدل على فضله ، وما أعد الله لأهله إذا أخلصوا الطلب لوجهه ، وعملوا به ، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود ، فأقول وبالله التوفيق :

فصل
في فضل قراءة القرآن

* عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه »(١) .

لغة الحديث :

شفيعًا : أي شافعًا طالبًا المغفرة لأصحابه .

لأصحابه : أي القارئين له والعاملين بأحكامه ، وهديه ، والمتمسكين بأمره ونهيه .

أفاد الحديث :

فضل تلاوة القرآن وأن القرآن يشفع لقارئه العامل بما فيه يوم القيامة .

فيا أخي المسلم تُرى كيف بك إذا جاء لك القرآن شفيعًا ؟!

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول : الٓمٓ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »(٢) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٠) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص٣ .

– لغة الحديث :

كتاب الله : أي القرآن المنزل على رسوله ﷺ .

– أفاد الحديث :

الحث على تلاوة القرآن الكريم ، وأن للقارئ بكل حرف من كل كلمة يتلوها حسنة مضاعفة .

فائدة في بعض المسائل التي يحتاج إليها قارئ القرآن[1] :

* **مراعاة الأدب مع القرآن :** فينبغي أن يستحضر القارئ في نفسه أنه يناجي الله تعالى ، ويقرأ على حال من يرى الله تعالى ، فإنه إن لم يكن يراه ، فإن الله يراه ، فيتأكد الأمر باحترام القرآن الكريم ، واجتناب الضحك ، أو اللهو عنده ، وترك الحديث في خلال القراءة إلا كلامًا يضطر إليه .

– فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر مع ترتيله للقراءة ، وتحسين الصوت بها بقدر ما تيسر .

* **اختلف أهل العلم ، هل الجهر بالقراءة أفضل أم الإسرار ؟**

فيه تفصيل وتقديم أحدهما على الآخر مداره بحسب المصالح والمفاسد المترتبة عليه .

– **قال الإمام الغزالي رحمه الله :** الوجه في الجمع بين هذه الأقوال أن الإسرار أبعد عن الرياء ، والتصنع ، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف الرياء ، فالجهر ورفع الصوت أفضل ؛ لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى غيره ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويزيد في نشاطه[2] .

* **وتستحب القراءة على ترتيب المصحف :** فتقرأ الفاتحة ، ثم البقرة ، ثم

---

(١) سبق الإشارة إلى بعض هذه المسائل في فصل هديه ﷺ في أحوال قراءته القرآن من الباب الثاني وهنا أضيف (مثلها وزيادة) .

(٢) إحياء علوم الدين (ج ١ ص ٢٧٩) .

آل عمران ، ثم ما بعدها على الترتيب . ولو خالف الموالاة ، وقرأ سورة لا تلي الأولى ، أو خالف الترتيب ، فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها ، جاز ذلك .

* **وحول مسألة هل قراءة القرآن من المصحف أفضل أم القراءة عن ظهر قلب ؟**

فيه تفصيل ، والمدار في هذه المسألة على الخشوع ، فإن كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل ، وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل ، فإن استويا فالقراءة نظرًا أولى – لمن كان قادرًا على ذلك ، وإلا فهو معذور – لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف .

– **قال الإمام النووي رحمه الله** : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل [١] .

* **وحول مقدار القراءة** : فقد اختلفت فيه عادات السلف ، فمنهم من كان يختم القرآن كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختم في اليوم والليلة أكثر من ذلك ، ومنهم من كان يختم في كل ثلاث ختمة ، ومنهم من كان يختم في كل أسبوع ، ومنهم من كان يختم في كل شهر اشتغالًا بالتدبر ، أو بنشر العلم ، أو بتعليمه ، أو بغيره من اكتساب الدنيا ، وأولى الأمر ما لا يمنع الإنسان عن أشغاله المهمة ولا يؤذيه في بدنه ، ولا يفوته معه الترتيل والفهم . المهم – وكما سبق الإشارة – أن يكون لكل يوم نظرة في كتاب الله .

* **يسن لمن قرأ آية السجدة أو سمعها** أن يكبر ويسجد سجدة ، وكان ﷺ يقول : « سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته » [٢] ، ثم يرفع من السجود – ولم يذكر عنه ﷺ أنه كان يكبر للرفع من السجود – وهذا يسمى سجود التلاوة ، ولا تشهد فيه ولا تسليم وليس في أحاديث سجود التلاوة – في غير الصلاة – ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئًا ، والمختار الذي قاله الشافعي والجماهير في

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥٠) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (ج ٢ ص ٦٢) ، والحاكم في مستدركه (ج ١ ص ٢٢٠) وصححه وغيرهما ، كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد حسن .

بيان عدد السجدات أنها أربع عشرة سجدة مشار إليها بقوله : « سجدة » في مواضعها من سورها بالمصحف ، وهي في : الأعراف ، الرعد ، النحل ، الإسراء ، مريم ، الحج (وفيها سجدتان) ، الفرقان ، النمل ، السجدة ، النجم ، الانشقاق ، الأعلى . وزاد البعض عليها سجدة سورة « ص »، ويسبح في سجوده بما يسبح به في سجود الصلاة ويدعو بما شاء[1] .

* **ومن الأوقات الفاضلة التي يستحب فيها الإكثار من قراءة القرآن** : شهر رمضان ، وخاصة العشر الأواخر منه ، ولذلك كان السلف - رضي الله عنهم - يخصصون جزءًا كبيرًا من وقتهم في رمضان لقراءة القرآن .

حتى قال الزهري رحمه الله : إذا دخل رمضانُ إنما هو قراءة القرآن ، وإطعام الطعام .

- **وكان الإمام مالك رحمه الله** : إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ، وأقبل على قراءة القرآن من المصحف .

- **وكان الشافعي رحمه الله** : يختم القرآن في كل يوم وليلة من شهر رمضان ختمتين .

فهذه المواسم قد خصها الله بمزيد من الفضل ، والمثوبة على الطاعات ، ولا سبيل لاغتنامها أعظم من قراءة القرآن ، لما له من الفضيلة على غيره من الأذكار والأعمال .

وحول مسألة قراءة القرآن عند القبور ، وهل يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ ؟

* **أما قراءة القرآن عند القبور حال الدفن وبعده :**

فلا أصل له في السنة ، بل الأحاديث المذكورة في المسألة تشعر بعدم مشروعيتها ، إذ لو كانت مشروعة لفعلها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه ، ولا سيما وقد سألته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عما تقول ، إذا زارت القبور ؟ فعلَّمها السلام والدعاء ، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن .

(١) زاد المعاد (ج ١ ص ٢٧٢) ، نيل الأوطار (ج ٣، ص ٩٥) ، فقه السنة (ج١ ص١٦٤) .

فلو كانت القراءة مشروعة لما كتم ذلك عنها ، ولو أنه ﷺ علمهم شيئًا من ذلك لنقل إلينا ، فلمّا لم ينقل بالسند الثابت دل على أنه لم يقع ، ومما يقوي عدم المشروعية قوله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة »(١) .

فقد أشار ﷺ إلى أن القبور ليست موضعًا للقراءة شرعًا لذلك حض على قراءة القرآن في البيوت ، وحذر من جعلها كالمقابر التي لا يُقرأ فيها ، والنهي عن القراءة عند القبور هو مذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وغيرهم ، وقد سُئل الإمام أحمد عن القراءة عند القبر؟ قال : لا ، وهو عند الإمام الشافعي بدعة(٢) .

* **وأما وصول ثوب ما يُقرأ إلى الميت :**

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ... ومن قال : إن الميت ينتفع بسماع القرآن ويؤجر على ذلك ، فقد غلط ، فالميت بعد الموت لا يُثاب على سماع ولا غيره ، غير ما استثنى من قوله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »(٣) . واللّٰه تعالى أعلى وأعلم .

* **وحول مسألة القراءة من المصحف في الصلاة :** فالبعض كرِهَهَا ، والمختار أنها جائزة .

وذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي بسنده (أن عائشة كان يؤمها غلام لها في المصحف – وكان يقال له : ذكوان – في رمضان بالليل)(٤) .

قال الإمام النووي – رحمه الله –: « .. لو قرأ القرآن من المصحف لم تبطل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٨٦) .
(٢) راجع أحكام الجنائز للألباني (ص ١٩١) ، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص ٧٤٢) .
(٣) مجموع الفتاوى (ج ٢٤ ص ٣١٧) ، والحديث رواه مسلم بشرح النووي (ج ١١ ص ٨٥) .
(٤) لاستقصاء أدلة الفريقين انظر كتاب قيام الليل للمروزي (ص ٨١) وما بعدها .. وحديث عائشة رواه الحافظ عبد الرزاق في المصنف (ص ٣٩٤) وغيره .

صلاته ، سواء كان يحفظه أم لا ، ولو قلب أوراقه ، وهو مذهب الشافعي ومالك وأحمد »[١] .

*** وحول مسألة : هل يشرع المحافظة على قول : « صدق الله العظيم » عقب تلاوة القرآن ؟**

لم يرد عن رسول الله ﷺ دليل يفيد ذلك ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وسبق الإشارة إلى ذلك في حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليَّ القرآن » . فقلت : يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ قال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » . فقرأت عليه سورة النساء ، حتى إذا جئت إلى هذه الآية : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ الآية . قال : « حسبك الآن »[٢] .

– الشاهد من الحديث : لو كان قول « صدق الله العظيم » عقب انتهاء القراءة مشروعًا ، لأوقفه النبي ﷺ بقوله قل: « صدق الله العظيم » .

– أما من يستشهد على مشروعية قول : « صدق الله العظيم » عقب تلاوة القرآن بقوله تعالى : ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٩٥] فقد غلط ، فهذه الآية رد على اليهود والنصارى – قبحهم اللّه تعالى – في باطل دعواهم المتقدم ذكره في الآية قبلها وما يماثلها . وبهذا يكون معنى قوله تعالى : ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي : قل يا محمد : صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه في القرآن .

* * *

---

(١) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (ج ٤ ص ٩٥) .

(٢) الحديث سبق تخريجه (ص ٤٩) .

فصل
في فضل تعلم القرآن وتعليمه

* عن عقبة بن عامر – رضي اللّٰه عنه – قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة ، فقال : « أيكم يحب أن يغدوا كل يوم إلى بطحان ، أو إلى العقيق ، فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوِيْن في غير إثم ، ولا قطع رحم » . فقلنا : يا رسول الله ، نحب ذلك ، قال : « أفلا يغدوا أحدكم إلى المسجد ، فَيَعْلَمُ أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهنّ من الإبل »[1] .

– **لغة الحديث :**

الصُّفَّة : موضع مظلل من المسجد النبوي كان فقراء المهاجرين يأوون إليه .

يغدو : أي يذهب في الغدوة وهو أول النهار .

بُطْحان : بضم الباء وإسكان الطاء ، موضع بقرب المدينة .

الكوماء من الإبل : بفتح الكاف أي العظيمة السنام .

– **أفاد الحديث :**

الندب والحث على قصد بيوت اللّٰه لتعلم العلم ، وحفظ القرآن ، لما فيها من السكينة مما لا تجده في غيره من الأماكن ، ولقطع علائق القلب عن شواغل الدنيا التي هي من أعظم موانع الحفظ والتدبر ، وليُعلم أن آية واحدة يقرأها المسلم ، أو يحفظها خير من الدنيا ، وما فيها . وقد ضرب ﷺ هذا المثل للترغيب ، والحث على حفظ كتاب الله ، وتعلمه .

* وعن عثمان بن عفان رضي اللّٰه عنه قال : قال قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٨٩) .

وفي رواية : « إن من أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه »[١].

لغة الحديث :

خيركم : أي يا معشر القراء.

تعلم القرآن : يطلق على بعضه وعلى كله.

أفاد الحديث أن خير المتعلمين من كان تعلمه ، وتعليمه في القرآن ، لا في غيره ؛ لأن خير الكلام كلام الله ، فلذلك كان خير الناس بعد النبيين من اشتغل به.

قال الحافظ في الفتح : (وقد سُئل سفيان الثوري عن الجهاد ، وعن إقراء القرآن : أي تعليمه للناس . فرجح الثاني ، واحتج بهذا الحديث)[٢].

قلت : لا شك أن هذا الكلام إنَّما ينسحب على الجهاد غير المتعين ، أما إذا انتهكت حرمات المسلمين وتعين الجهاد قُدِّم على إقراء القرآن ، وهكذا تنزل الأمور وتقدر الأحكام بقدرها ، والله أعلم.

فائدة في آداب معلم القرآن ومتعلمه

* **أول وأهم ما ينبغي للمقرئ والقارئ** أن يقصدا بذلك رضا الله وإخلاص النية له سبحانه ، فإن فَقَدَ العلم إخلاص النية انْتَقَلَ من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات ، وآفة العلم الرياء ، فاحذر أن تقع فيها ، وقى الله أهل القرآن شرها.

* **التحلي بـ (رونق العلم)** من حسن السمت والهدى الصالح مع دوام السكينة والوقار ، والخشوع والتواضع ، والرفق ، والقناعة ، والزهادة ، والمروءة ، والتخلي عن نواقضها . وقانا الله وإياك العثرات.

* **تعاهد المحفوظات :** تعاهد علمك من وقت لآخر ، فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٧٤).
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٧٧).

فصاحب القرآن إن داوم على تعهده بالتلاوة قرّ وإن ترك ذلك فرّ منه حفظه ، ولا يقدر على عوده إلا بعد غاية الكلفة ، والمشقة ، فعلى كُلٍ تعهد ما عنده حتى لا يفقده[(١)] .

* **العمل بالعلم :** فالمقصود من العلم العمل ، فإذا تعلمت آية من كتاب الله فاحرص جهدك أن تُعلِمَها لولدك ، وأهلك ، وأن تطبقها على نفسك . نسأل الله العمل بالعلم ، والعون على ذلك .

* **احذر من القيل والقال وكثرة السؤال :**

واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم وأقبل على القرآن على طريقة السلف ، فالإسلام كله لك جادة ومنهج ، ولا تأخذ عن مبتدع أو صوفي أو قبوري ، ولا تكن خراجًا ولاجًا في الجماعات ، فتخرج عن سعة الإسلام إلى ضيق الجماعات ، فلا طائفية ، ولا حزبية في الإسلام ، بل كن من أصحاب العبودية المطلقة ، وانهل من ميراث النبوة صافيًا . سدد الله الخطى ، ومنح الجميع التقى .

* **وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؛** فقد اختلف العلماء فيه على أقوال أعرضها ، ثم أذكر الراجح منها :

(**القول الأول**) : هو رأي القائلين بمنع أخذ الأجرة عليه ، وهو قول جماعة من العلماء ، منهم الزهري ، وأبو حنيفة ، واحتج المانعون بحديث في إسناده مقال .

(**أما القول الثاني**) : فهو رأي القائلين بجواز أخذ الأجرة عليه ، وفيه تفصيل ، فقد ذهب البعض إلى أنه يجوز إن لم يشترطه ، وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين ، وذهب عطاء ومالك والشافعي إلى الجواز وإن شارطه واستأجره إجارة صحيحة ، وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة منها قوله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله »[(٢)] .

الراجح : جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، ويستحب عدم الاشتراط .

---

(١) في هذا المعنى جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ أذكر منها قوله ﷺ : « تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها » . فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٧٩) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٧٨) ، واللفظ لمسلم .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١٠ ص ١٩٨) .

فصل
في فضل تجويد القرآن وإتقان قراءته وتحسين الصوت به

* عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق ، له أجران »[١] .

لغة الحديث :

ماهرٌ به : أي يجيد تلاوته ويطبق أحكام تجويده .

السفرة : أي الملائكة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات ربهم ، وقيل : السفرة : الملائكة الكتبة الذين يحصون الأعمال ؛ لأنهم بكتابتهم سفرة بين الله وخلقه .

الكرام : لأنهم مطهَّرون من دنس المعاصي .

البررة : المطيعون .

يتتعتع فيه : يتردد في قراءته ، ويثقل عليه .

أفاد الحديث :

بيان فضل من يجيد تلاوة القرآن ، ويتقن قراءته ، وأنه مع الملائكة الكرام السفرة في منازلهم ، وأن من تردد في قراءته لثقله عليه له أجران : أجر القراءة ، وأجر التعتعة .

* * *

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٨ ص ٦٩١) ، مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٨٤) واللفظ لمسلم .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به »[١] .

لغة الحديث :

ما أذن : أي ما استمع ، وفيه إشارة إلى الرضى والقبول .

يتغنى بالقرآن : يُحسن قراءته ويُرتلها ، وقيل : الإفصاح بألفاظه .

أفاد الحديث :

الحث على تحسين الصوت عند قراءة القرآن ، وترتيله ترتيلًا ، وأن هذا من أسباب إجزال المثوبة من الله ، فإن لكل شيء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن ، فإن لم يكن القارئ حسن الصوت فليحسنه ما استطاع . وأن الجهر بالقراءة في بعض الأوقات لمقصود صحيح إما لتثبيت الحفظ ، أو ليصرف عن نفسه الكسل والنوم من غير تشويش بالقراءة على الغير من المقاصد الطيبة .

* * *

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٩ ص ٦٨) ، وصحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٧٩) .

فوائد

* يستعان على تجويد القرآن ، وتحسين الصوت به بكثرة الاستماع إليه في الأشرطة المسجلة لأحد القراء المتقنين أمثال : الشيخ المنشاوي ، والحصري ، وعبد الباسط ، وغيرهم ، ولا يعتمد على الأشرطة التي تسجل من صلاة التراويح . فكثيرًا ما يُغْفل فيها عن ضبط أحكام التجويد .

* المطلوب شرعًا إنما هو تحسين الصوت الباعث على تدبر القرآن ، وتفهمُّه ، والخشوع عنده ، فبه تكون القراءة أشد تأْثيرًا في النفس ، وخشوعًا في القلب ، واعتبارًا في العقل ، وإن المحظور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت ، وحسن النظم عن المعنى المراد ، والخشوع المطلوب ، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب . وما من أحد سمع قراءة المجودين أولي الأصوات الحسنة إلا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه بقراءتهم .

* طيب الصوت وتحسينه بالقرآن يقارنه شيئان .. الأسف والتلهف . فالأسف على ما وقع من التقصير ، والتلهف على ما يؤمل من التوقير ، فإذا تألم القلب بالذنب وتوجع ، تحزّن الصوت ورجّع ، فبدر الجفن بالدموع ، والقلبُ بالخشوع ، فحينئذ يشتلذ القارئ بالمناجاة ، ويفرّ من الخلق إلى الخلوات ، رجاء غفران السالف من الذنوب ، والتجاوز عن الجنايات ، والعيوب .

اللهم اجعلنا ممن يقول فيعمل ، ويعمل فيخلص .. اللهم استجب ، وتقبل يا أرحم الراحمين ، وبالله التوفيق .

* * *

فصل
في فضل حفظ القرآن الكريم

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتلْ كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[1] .

– **لغة الحديث :**

يقال : أي عند دخول الجنة .

صاحب القرآن : أي حافظه عن ظهر قلب أو حافظ بعضه الملازم لتلاوته مع التدبر لآياته ، والعمل بأحكامه ، والتأدب بآدابه .

ارق : اصعد درج الجنة بمقدار ما حفظته من آي القرآن .

رتل : أي لمجرد التلذذ ؛ إذ لا عمل ولا تكليف هناك .

أفاد الحديث :

الترغيب في حفظ القرآن ، وتخصيص الصاحب في الحديث بالحافظ عن ظهر قلب دون التالي من المصحف .

– فيا لها من سعادة ! إذا قيل له : اقرأ وارق ورتل . فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها . تُرى إلى أين يرقى ؟

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيءُ القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حُله ، فيُلبس تاج الكرامة ، ثم يقولُ : يا رب زدْه ، فيُلبس حلة

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما بسند صحيح ، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج٢ ص ١٣٤٩) .

الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه . فيقول : اقرأ وارق ، ويزاد بكل آية حسنة »[1] .

لغة الحديث :

حلة : أمر من التحلية ، **والمعنى :** يا رب زيّنه .

أفاد الحديث :

بيان لكرامة حافظ القرآن بالإنعام عليه بتاج الكرامة وحلة الكرامة ، ورضا الله عنه ، وهو أعظمها وأن ما ادَّخرهُ اللّٰه لحافظ القرآن لم يدخره لغيره إلا الأنبياء والشهداء ، وأي نعيم فوق حلول رضوان اللّٰه عليك فلا يسخط عليك بعد ذلك أبدًا ..

* * *

(١) أخرجه الترمذي والحاكم بسند حسن من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج ٢ ص ١٣٣٣) .

فائدة حول الأسباب الميسرة لحفظ القرآن الكريم

قالوا : مما يعين على الحفظ أكل الزبيب ، ومما يُضْعِف الحفظ أكل الباذنجان ، قلت : دعونا من الزبيب والباذنجان ، أعظم ما يعين على الحفظ تقوى الرحمن .

قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

فأقول مستعينًا باللَّه وبحوله وقوته : إن من أسباب حفظ القرآن الكريم ما يلي :

* **النية الصادقة** : ولها علامات تدل على صدقها ، حتى لا تكون أماني وظنونًا ، ومن علاماتها تفريغ الأوقات للحفظ ، وأعني بذلك أن تستقطع من ثمين وقتك وقتًا لكتاب اللَّه لا يثنيك عنه أي شاغل ، وما قيمة هذا الشاغل ؟

فمهما كان مربحًا ، فربحك آية من كتاب الله تحفظها أعظم وأبقى ، أما أن يكون حفظك لكتاب الله بحسب الفضلة من وقتك ، فإن بقي وقت بعد قضاء مصالح الدنيا ، وإلا فلا حفظ ، فأنّى لك أن تكون من أهل القرآن ...

* **الدعاء والإلحاح فيه** : من أهم الوسائل المعينة على حفظ كتاب الله . فهو وحده سبحانه القادر على أن ييسر لك سبيل حفظ كتابه ، ولِتتقِي موانع الإجابة من المعاصي والآثام ولتطهّر القلب ليصْلُح لقبول القرآن .

* **الصبر والعزيمة القوية** : ولا يثنيك عن عزمك فتور ، أو ملل ، ولا يصدنّك الشيطان ، أو كون الحفظ قد يبدو صعبًا أو شاقًا في بدايته . واعلم أن التيسير سيكون حليفك جزءًا بعد جزء ، ومن لازم طرق الباب أوشك أن يفتح له ، ومن ثبت نبت .

* **عليك تحديد مقدار للحفظ اليومي** : بقدر ما تطيق حفظه ويمكنك المواظبة عليه ، وقراءته على شيخ متقِن ، فإن لم يتيسر ، فلتسمع لهذا المقطع الذي تريد حفظه من خلال شريط لأحد القراء المتقنين ، ثم الشروع بعد ذلك في تكرار هذه الآيات ، وإعادتها مع تحسين الصوت بالقراءة بها لدفع السآمة ، وتعويد اللسان على حسن القراءة .

– وأنصح لمريدي الحفظ بقراءة طرفٍ من معاني الآيات التي يحفظها كأن يكون الحفظ من أحد المصاحف المذيلة بمعاني الكلمات ، ومن أفضلها « تفسير الجلالين »[١] .

– وينبغي عدم تجاوز الآيات المقرر حفظها إلى آيات أُخر إلا بعد التأكد من إتقان حفظها وتسميعها ، ويُعتنى بالآيات المتشابهة المطالع .

كذا ينبغي المحافظة على رسم واحد للمصحف ، فموضع الآية من المصحف ينطبع في الذهن ، فيُعين على الحفظ . ويستعان على ذلك أيضًا بالكتابة مع ملاحظة صون تلك الأوراق من العبث ، ووضعها في مكان لائق .

ثم كرّر ما تحفظه أثناء السير وفي الطريق للمدرسة ، أو العمل ، وفي الصلاة ، واجعل يومًا أو يومين في الأسبوع للمراجعة . فاستبقوا الخيرات فقد وضح الطريق ...

وأخيرًا .. ليكن حفظك للقرآن الكريم (حفظ رعاية) بالعمل والتنفيذ ، ليكن خلقك القرآن ، وسلوكك القرآن ومنطقك وعملك القرآن .

فإن لم تفعل فهو حجة عليك ، وليكن نصب عينك حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها حين سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خلقه القرآن[٢] .

وقال الفضيل – رحمه الله –: حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلهو مع من يلهو ، تعظيمًا لله تعالى[٣] .

« فاللهم علمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نُسِّينَا ، وارزقنا العمل به .. آمين » .

* * *

(١) وهو كتاب قيم ، سهل المأخذ ، مختصر العبارة ، وهو يشير بالرمز إلى كثير من المسائل التي يشرحها غيره بأسلوب مطوّل .. فعليك به واحذر ما فيه من تأويله لبعض الصفات .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (ج ٦ ص ١٨٨) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٢٦) .

(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (ص ٥١) .

فصل
في فضل سور وآيات مخصوصة

أولاً : وقبل أن أتعرض لهذا الفصل المهم من فصول فضائل القرآن ، أود أن أشير إلى مسألتين :

* **المسألة الأولى** : وهي هل يجوز تفضيل بعض القرآن على بعض ؟

اختلف العلماء هل في القرآن شيء أفضل من شيء ؟

فذهب بعض الأئمة إلى المنع ، وروي هذا القول عن الإمام مالك ، وحجتهم في ذلك لئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه .

وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث ، وروي هذا القول عن الإمام الغزالي ، وقال الإمام القرطبي : إنه الحق . ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين ، ولهم في ذلك كلام طويل .

فبعضهم يقوله : بأن التفضيل راجع إلى عظم الأجر ، ومضاعفة الثواب .

والبعض يقول : إنما هو بالمعاني العجيبة ، وكثرتها ، وغير ذلك من الأقوال[١] .

قلت : وجواز تفضيل بعض القرآن على بعض هو الرأي الراجح ، وهو ما عليه الجمهور ، والذي دلت عليه الأدلة . والله أعلم .

* **وأما المسألة الثانية** :

وهي التنبيه على أنني سوف أقتصر في هذا الفصل على ذكر (بعض) ما صح في فضله الخبر عن رسول الله ﷺ فيما وقفت عليه ، وإنني سوف أُعْرِضْ عن كثير مما اشتهر تناقله بين الناس وذلك لعدم ثبوت صحته عن رسول الله ﷺ[٢] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج ٢ ص ١٩٩) .

(٢) وقفت في بعض الكتب على أحاديث كثيرة لا تثبت في فضل أغلب سور القرآن ، وقد ورد حديث طويل في فضائل القرآن سورة سورة وهو موضوع ولا أصل له .

فضل فاتحة الكتاب

عن أبي سعيد رافع بن المعلى قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أُعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ » فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج ، قلت : يا رسول الله ، إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن . قال : « ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم ، الذي أوتيته »[١] .

– لغة الحديث :

المثاني : التي تثنى ، وتقرأ في كل ركعة من الصلاة ، وقيل : سميت بذلك ؛ لاشتمالها على قسمين ؛ ثناء ، ودعاء .

– أفاد الحديث :

عظيم شأن سورة الفاتحة . وذلك لأنها جمعت مقاصد القرآن ، واشتملت على مجمل ما جاء مفصلًا في باقي السور ، فاشتملت على الثناء على الله بما هو أهله ، وعلى التعبد ، وعلى الأمر والنهي ، والوعد ، والوعيد ، وآيات القرآن لا تخلو من أحد هذه الأمور .

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال فيها – أي فاتحة الكتاب –: « أنها رقية »[٢] .

– وقد أفرد الإمام ابن قيم الجوزية لفاتحة الكتاب فصلًا في كتابه « الطب النبوي » ، وذكر في فضلها كلامًا طيبًا بليغًا ، ومما قال : (إن هذه السورة غنى عن كثير من الأدوية والرقى ، وإن بها مفاتيح الخير ومغاليق الشر)[٣] .

* * *

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٥٤) .
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٩ ص ٥٤) بلفظ : « وما يدريك أنها رقية » .
(٣) الطب النبوي لابن القيم (ص ٢٥٩) .

فضل سورة البقرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة »(١) .

لغة الحديث :

ينفر : أي يعرض ويبتعد .

أفاد الحديث :

الحث على مداومة ذكر الله في البيوت وقراءة سورة البقرة فيها لأنها تصد الشيطان وتجعله ييأس من إغوائهم وإضلالهم ببركة قراءتها .

فضل سورة البقرة مع آل عمران

عن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما »(٢) .

لغة الحديث :

تقدمه : أي تتقدمه .

تحاجان : تجادلان وتدفعان .

- أفاد الحديث :

أن القرآن يأتي يوم القيامة - وقيل يصور بصورة ويراه الناس وكذا أصحابه الذين كانوا يعملون به في الدنيا . فيأتمرون بما أمر ، وينزجرون عما زجر . تتقدمه سورة البقرة وآل عمران تجادلان ، وتدفعان عن العامل بما أمرتا به ، والتارك ما نهتا عنه .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٦٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٠) .

فضل الآيات من سورة البقرة

*** فضل آية الكرسي (وهي الآية (٢٥٥) من سورة البقرة):**

عن أبي بن كعب – رضي اللّه عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا المنذر، أي آية من كتاب اللّه معك أعظم؟ قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ فضرب في صدري، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر »[١].

– لغة الحديث:

الله لا إله إلا هو الحي القيوم: أي جميع آية الكرسي.

القيوم: أي القائم بنفسه والمقيم لغيره سبحانه.

ليهنك العلم: أي ليكن هنيئًا لك ونافعًا لك.

أفاد الحديث:

– أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب اللّه لما تضمنته من عظيم مقتضاها من إثبات الذات والصفات والأفعال.

– وقد ورد في فضلها جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي اللّه عنه – وفيه قوله: « فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية فلا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح »[٢].

– ومنها ما ثبت بسند صحيح من حديث أبي أمامة – رضي اللّه عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « من قرأ آية الكرسي في دبُرِ كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت »[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٥٥) بلفظ: « وكلني رسول الله بحفظ ».

(٣) أخرجه النسائي وابن حبان بسند صحيح بشواهده، ووثق رواته البخاري وابن معين، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج ٢ ص ١١٠٣)، وحكي عن ابن تيمية أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة. راجع كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية (ج ١ ص ٢٢٢).

قلت : وهي أيضًا من أعظم ما يستشفى به من الأمراض والأسقام وخاصة ما كان له علاقة بالجان كالسحر والمس .. وغيره . فهي تُؤثِّر في الجن وتطردهم بإذن الله ، فهي سلاح والسلاح بضاربه .

* * *

فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة وهما ٢٨٥، ٢٨٦ من البقرة

عن أبي مسعود البدري – رضي اللَّه عنه – عن النبي ﷺ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »[١] .

لغة الحديث :

كفتاه : أي كفتاه المكروه في تلك الليلة ، وقيل : كفتاه عن قيام الليل .

من آخر سورة البقرة : أي من قوله : « آمن الرسول ... إلى آخرها » .

أفاد الحديث :

– بيان ما اختصت به هاتان الآيتان من حظ كبير لاشتمالهما على غاية التفويض ، والتسليم لأوامر الله ولأن الدعاء بما فيهما متضمن (لخيري) الدنيا والآخرة .

– وصح من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ما يفيد عظيم فضل هاتين الآيتين وكونهما نورًا لصاحبهما يوم القيامة يسعى أمامه لإجلاله وتعظيمه وأنه لا يُقرأ منها بحرف مستعينًا به على قضاء غرضٍ لك إلا أُعْطِيتَه[٢] .

وبهذا يتضح لنا عظيم الفضل الذي اشتملت عليه سورة البقرة عامة وخاصة في بعض آياتها كآية الكرسي والآيتين من آخر السورة ، ويظهر لنا جليًا ما صح عن رسول الله ﷺ من حديث بريدة رضي اللَّه عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اقرءوا البقرة

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٩ ص ٥٥) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٢) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩١) بلفظ : « هذا باب من السماء فتح » .

فإن أخذها بركةٌ وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة »(١) .

– فحقيق بكل مسلم ومسلمة أن يشمر عن ساعد الجد لحفظ هذه السورة المباركة .

* * *

فضل سورة الكهف

عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّٰه عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين »(٢) .

لغة الحديث :

سورة الكهف : أي السورة التي ورد فيها قصة أصحاب الكهف ، والمسماة بذلك .

– أفاد الحديث :

بيان فضل قراءة هذه السورة في يوم الجمعة ، وفي ذلك عامل على حفظها بكثرة تكرارها ، وفيما يلي ذكر فضل حفظ الآيات منها :

فضل حفظ الآيات من سورة الكهف

عن أبي الدرداء – رضي اللّٰه عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال »(٣) .

وفي رواية للحديث (من آخر سورة الكهف) .. وهذه الرواية شاذة ، والصحيح الرواية الأولى(٤) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٠) ، البطلة : أي السحرة ، ومعنى لا تستطيعها البطلة ، أي : لا يمكنهم حفظها ، وقيل : لا تستطيع النفوذ في قارئها . واللّٰه تعالى أعلم .

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقي بسند صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج ٢ ص ١١٠٤) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٢) .

(٤) قال الألباني : قلت : الرواية الأخرى شاذة ، والمحفوظ الرواية الأولى كما حققته في السلسلة الصحيحة (٥٨٢) ، ويشهد له حديث النواس بن سمعان ، فإن فيه : « ... فمن أدركه – أي الدجال – منكم =

- لغة الحديث :

من حفظ : أي عن ظهر قلب .

عُصِمَ : أي حفظ . **الدجال** : أي الكذاب .

أفاد الحديث :

الحث على حفظ هذه الآيات العشر من أول سورة الكهف لكون حفظها عاصمًا من فتنة المسيح الدجال ، الذي يخرج آخر الزمان مدعيًا الألوهية لخوارق تظهر على يده - بإذن الله -.

- وسر عصمة من حفظ تلك الآيات منه اشتمالها على عجائب وآيات يمنع تدبرها من فتنته .

فضل سورة الإخلاص

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن . قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن »[1] .

لغة الحديث :

قوله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ : أي السورة المسماة بذلك وبسورة الإخلاص .

تعدل أي : باعتبار ثواب قراءتها .

- أفاد الحديث :

أن اشتمال هذه السورة على توحيد الله وتعظيمه وتقديسه يحمل كل ذي إيمان كامل على أن يستمد بقراءتها ما يكمل به إيمانه ويزيد إيقانه ، ولذلك قيل : إن ثواب قراءتها يعدل ثواب قراءة ثلث القرآن في الأجر ، وقد حمل البعض الحديث على أن معناه

= فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف » .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٤) .

أن لها فضلًا وثوابًا تحريضًا على تعلمها وليس أن قراءتها ثلاث مرات كقراءة القرآن كله واختار ابن عبد البر أن السكوت عن ذلك كله أفضل وأسلم كما فعل أحمد بن حنبل، وكذا ابن راهويه رحمهم اللّه.

قلت: والراجح أن المراد ثلثه من حيث الأجر، فلا مانع أن يجعل الله في الأحرف القليلة من الثواب ما لم يجعله في الكثيرة، ألا ترى أن الصلاة بالمسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه، والصلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سوى المسجد الحرام والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة. كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ[1].

- وقد ورد في فضل هذه السورة العظيمة جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها قوله: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة»[2].. واللّه تعالى أعلى وأعلم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (ج ٣ ص ٦٣) مع الفتح، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٢ ص ١٠١٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أنس بن معاذ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج ٢ ص ١١٠٤).

فضل المعوذتين

عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلُهن قط ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ »[1] .

لغة الحديث :

ألم تر : ألم تبصر – ألم تعلم .

قط : ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان .

– أفاد الحديث :

الإرشاد إلى فضل المعوذتين في التعوذ من شر كل ذي شر ، كالجان وعين الإنسان . وقد تواتر هذا الحديث من عدة طرق[2] . تُرشد بمجموعها إلى نفس المعنى من فضل التعوذ بهما في الصباح ، والمساء ، وعند النوم ، وفي كل حال . فهما أفضل ما تعوذ بهما المتعوذون لاشتمالهما على الجوامع في المستعاذ والمستعاذ منه .

– والحمد لله على التمام ، إنه ولي الإنعام ، وصلى اللّٰه وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . واللّٰه أعلم وأحكم .

* * *

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦ ص ٩٢) .

(٢) راجع طرق هذا الحديث في تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ٥٧٣) .

خاتمة ودعاء

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلمنا الحكمة والقرآن ، وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد خير الأنام ... وبعد .

بهذا ينتهي ما جمعناه في كتابنا هذا « **فقه قراءة القرآن الكريم** » ، فما وجدت فيه – أخي الكريم – من صواب ، فمن اللَّه عز وجل ، فله سبحانه النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، وإن كان فيه من سهو أو خطأ ، أو نسيان فمن نفسي ، ومن الشيطان .

واللَّه أسأل أن يتقبل مني أحسنه ، وأن يغفر لي ، وكما منّ عليّ بإتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله وينفع به .

فاللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب غمومنا ، وهمومنا . اللهم ذكرنا منه ما نُسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا ، واجعله سائقًا لنا إلى رضوانك والجنة . اللهم اجعله حجة لنا لا حجةعلينا .

اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويتلوه حق تلاوته . اللهم اجعلنا ممن يقيم حروفه وحدوده ، ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده ، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك ، يا أرحم الراحمين ، اللهم أكرمنا بكرامة القرآن ، وألبسنا بخلعة القرآن ، وأسعدنا بسعادة القرآن ، وشرفنا بشرف القرآن ، وأدخلنا الجنة بشفاعة القرآن ، ونجنا من النيران بحرمة القرآن .

اللهم هذا الدعاء ، ومنك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان .

أخي القارئ الكريم : دونك هذا الكتاب . فاحرز نفسك في حرزه ، واشدد يدك بغرزه ، ولا تنسنى من صالح دعائك . والحمد لله على انتهائي كما حمدت الله في ابتدائي ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . « فرغت منه قبل صلاة العصر من يوم عرفة لسنة سبع عشر وأربعمائة وألف من هجرةِ المصطفى ﷺ » .

* * *

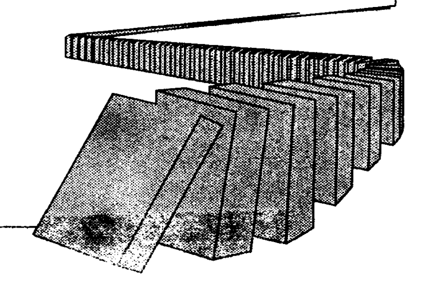
ملحق فهارس « فقه قراءة القرآن الكريم »*

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث والآثار .

٣- أهم المصادر والمراجع .

٤- فهرس الموضوعات .



* وضعتها في آخر الكتاب إتمامًا للفائدة وتسهيلًا لمعرفة مكان الآية والحديث لطالب العلم وغيره ، وجعلته متممًا ، وباللَّه التوفيق .

١- فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب السور وحسب ورودها في الكتاب

طـــرف الآيـــة	السورة رقم الآية	الباب	الصفحة
﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾	البقرة : ٢	الأول	١٣، ٤٥
﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾	البقرة : ١٢١	الثاني	٤٢
﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾	البقرة : ٢٨٢	الثالث	٧٣
﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾	آل عمران : ٧	الثاني	٤٥
﴿ قل صدق الله ﴾	آل عمران : ٩٥	الثالث	٦٤
﴿ ولو كان من عند غير الله ﴾	النساء : ٨٢	مقدمة	٧
﴿ يا أيها الناس قد جاءكم ﴾	النساء : ١٧٤	الأول	١٢
﴿ قد جاءكم من الله نور ﴾	المائدة : ١٥	الأول	١٢
﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم ﴾	المائدة : ٦	الثاني	٢٦
﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات ﴾	الأنعام : ١	الثاني	٤٧
﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا ﴾	الأعراف : ٢٠٤	الثاني	٥٠
﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون ﴾	التوبة : ٢٨	الثاني	٣٧
﴿ إن الله لا يغير ما بقوم ﴾	الرعد : ١١	الثاني	٤٥
﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾	الحجر : ٩	الأول	١٢ - ١٨
﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا ﴾	النحل : ٨٩	الأول	١٨
﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾	النحل : ٩٨	الثاني	٢٤
﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾	النحل : ٣٢	الثاني	٤٥
﴿ إن هذا القرآن يهدي ﴾	الإسراء : ٩	الأول	٣ - ١٢
﴿ قل لئن اجتمعت الإنس ﴾	الإسراء : ٨٨	المقدمة	٧
﴿ وننزل من القرآن ما هو ﴾	الإسراء : ٨٢	الأول	١٣
﴿ نحن نقص عليك نبأهم ﴾	الكهف : ١٣	الثاني	٤٥
﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع ﴾	طه : ٤٦	الثاني	٤٥

* * *

٢- فهرس الأحاديث والآثار بترتيبها هجائيًا وحسب ورودها بالكتاب

أولًا : فهرس الأحاديث :

طرف الحديث	الراوي	الباب	الصفحة
(حرف الألف)			
« أقرأني جبريل على حرف »	عبد الله بن عباس	الأول	١٩
« إنما جعل الإمام ليؤتم به »	أبو موسى الأشعري	الثاني	٥٠
« إني لأدخل في الصلاة »	أنس بن مالك	الثاني	٥٥
« إذ أمّ أحدكم الناس »	أبو هريرة	الثاني	٥٨
« اقرءوا القرآن فإنه يأتي »	أبو أمامة	الثالث	٥٩
« إذا مات ابن آدم انقطع عمله »	أبو هريرة	الثالث	٦٣
أيكم يحب أن يغدو »	عقبة بن عامر	الثالث	٦٥
« إن من أفضلكم من تعلم »	عثمان بن عفان	الثالث	٦٦
« إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا »	عبد الله بن عباس	الثالث	٦٧
« الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به »	عائشة	الثالث	٦٨
« ألا أعلمك أعظم سورة »	أبو سعيد رافع	الثالث	٧٦
« اقرءوا البقرة فإن أخذها »	بريدة	الثالث	٧٩
« أيعجز أحدكم أن يقرأ في »	أبو الدرداء	الثالث	٨١
« ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة »	عقبة بن عامر	الثالث	٨٣
(حرف التاء)			
« تعاهدوا هذا القرآن »	أبو موسى	الثالث	٦٧
(حرف الخاء)			
« خيركم من تعلم القرآن »	عثمان بن عفان	الثالث	٦٥
(حرف الراء)			
« رأيت رسول الله يوم فتح مكة »	عبد الله بن المغفل	الثاني	٣٤

طرف الحديث	الراوي	الباب	الصفحة
(حرف الجيم)			
« جمعت المحكم في عهد »	ابن عباس	الأول	١٤
(حرف الخاء)			
« خرج عمر يعس بالمدينة »	جعفر بن زيد العبدي	الثاني	٥٢
(حرف الكاف)			
« كان الرجل منا إذا تعلم »	ابن مسعود	مقدمة	٧
« كان يقضي حاجته ثم يخرج »	علي بن أبي طالب	الثاني	٣٥
« كان ابن مسعود يقرئ رجلًا »	موسى بن يزيد الكندي	الثاني	٤٠
(حرف اللام)			
« لأن أقرأ البقرة وآل عمران »	ابن عباس	الثاني	٤٧
« لا تنثره نثر الدقل قفوا على »	ابن مسعود	الثاني	٤٧

* * *

٣- إثبات أهم المصادر والمراجع

١- أ- القرآن الكريم : طبعة شركة الشمرلي .

ب- التفسير :

٢- جامع البيان في تفسير القرآن - لابن جرير الطبري - عن دار الحديث بالقاهرة .

٣- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

٤- تفسير القرآن العظيم - للإمام ابن كثير - طبعة المكتبة التوفيقية .

٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - للشوكاني - عن دار الفكر .

٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - عن مكتبة النهضة العربية .

٧- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل - تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي - عن دار إحياء الكتب العربية - بيروت .

٨- في ظلال القرآن - لسيد قطب (رحمه اللّه) - عن دار الشروق .

ج- السنة :

٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني عن دار الفكر بيروت .

١٠- صحيح مسلم بشرح النووي - عن دار الريان للتراث .

١١- مسند الإمام أحمد - عن دار الكتب العلمية بيروت .

١٢- موطأ الإمام مالك - عن دار إحياء الكتب العربية .

١٣- سنن أبي داود - عن دار الحديث بالقاهرة .

١٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم - عن دار المعرفة بيروت .

١٥- سنن سعيد بن منصور - دراسة وتحقيق د . سعيد بن عبد اللّه آل حميد - عن دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض .

١٦- صحيح الجامع الصغير للألباني - الطبعة الثانية عن دار الكتب الإسلامي .

د- الفقه - أصول الفقه :

١٧- المجموع شرح المهذب - للإمام النووي - عن دار الفكر .

١٨- المغني - لابن قدامة المقدسي - عن دار الريان للتراث .

١٩- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - للشوكاني - عن مكتبة دار التراث .
٢٠- سبل السلام شرح بلوغ المرام - للصنعاني - عن دار الريان للتراث .
٢١- فقه السنة - للشيخ السيد سابق عن دار الفتح للإعلام العربي .
٢٢- مجموع الفتاوى - لابن تيمية - عن دار التقوى للنشر والتوزيع .
٢٣- الوجيز في أصول الفقه - تأليف : د . عبد الكريم زيدان - عن مؤسسة الرسالة - بيروت .

هـ- القراءات وعلوم القرآن :

٢٤- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع - تأليف عبد الفتاح القاضي - عن مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
٢٥- النفحات الإلهية في شرح متن الشاطبية - لمحمد عبد الدايم خميس عن دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع .
٢٦- شرح متن الجزرية في معرفة تجويز الآيات القرآنية - للعلامة الشيخ محمد بن الجزري - عن مكتبة صبيح .
٢٧- فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال - للشيخ سليمان الجمزورى - عن مكتبة صبيح .
٢٨- الإتقان في علوم القرآن للسيوطى - عن دار المعرفة - بيروت .
٢٩- مباحث في علوم القرآن ، الشيخ مناع القطان - الناشر مكتبة وهبة .

و- المعاجم - اللغة :

٣٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي عن دار الريان للتراث .
٣١- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - عن دار الدعوة استامبول .
٣٢- لسان العرب لابن منظور عن دار المعارف .
٣٣- مختار الصحاح للرازي - ترتيب محمود خاطر - الناشر دار الحديث .

ي - متنوعات :

٣٤- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن قيم الجوزية - عن دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت .
٣٥- إحياء علوم الدين - لأبي حامد الغزالي - عن دار الحديث .
٣٦- رياض الصالحين للإمام النووي عن دار الوفاء .
٣٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - للصديقي الشافعي - عن دار الريان للتراث .
٣٨- موسوعة في فضائل سور وآيات القرآن - للشيخ محمد بن رزق بن طرهوني - عن مكتبة دار العلم بجدة .
٣٩- التبيان في آداب حملة القرآن - للإمام النووي - عن مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .
٤٠- مختصر منهاج القاصدين - لابن قدامة المقدسي - عن مكتبة دار التراث .

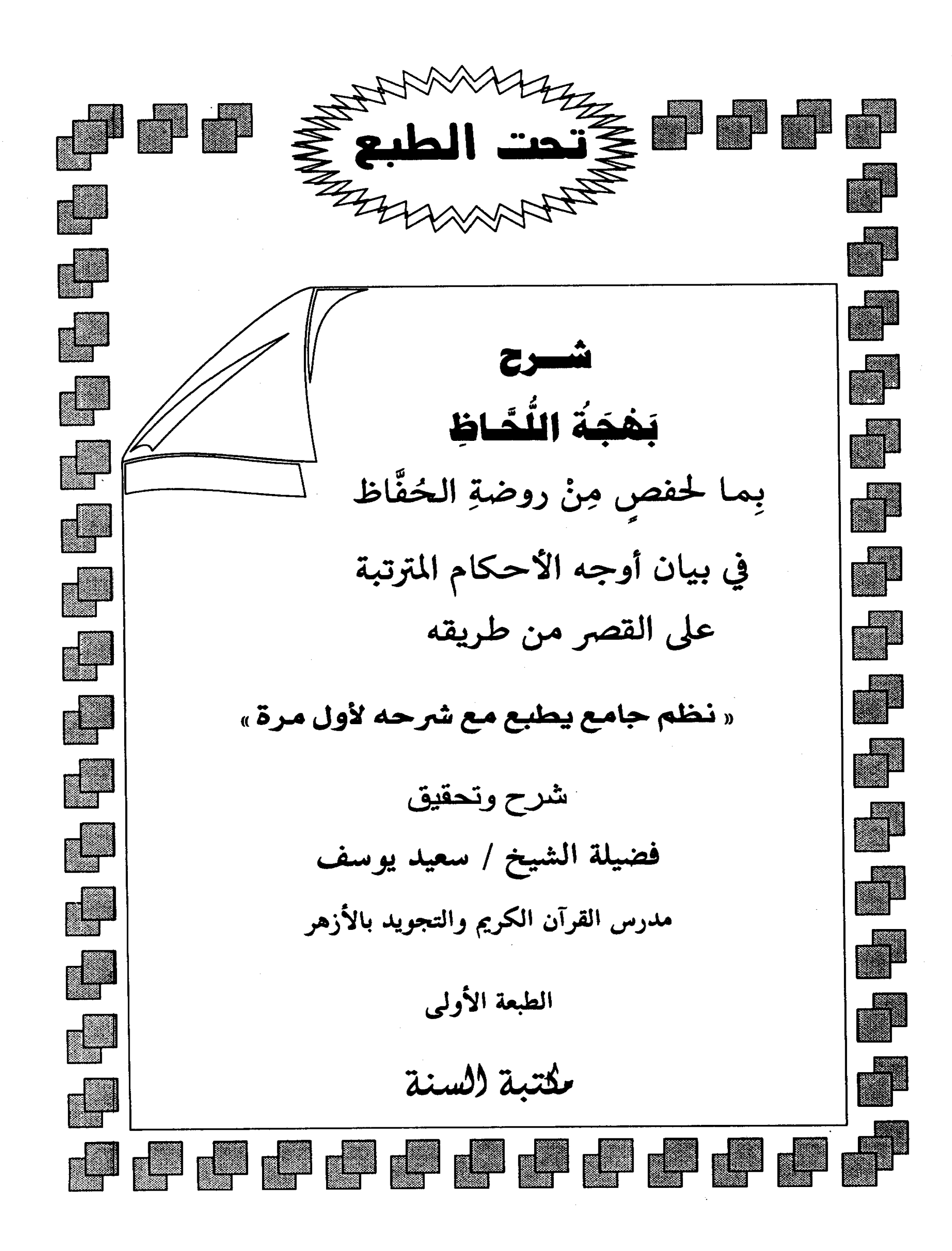
* * *

٤- فهرس الموضوعات

* * *

كمبيوتر : ربيع محمود - ت : ٤٧٥٠٠٨٠

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة ت : ٧٧٩٧٥٥٠



تحت الطبع
شــرح
بَهْجَةُ اللُّحَّـاظِ
بِما لحفصٍ مِنْ روضةِ الحُفَّاظ
في بيان أوجه الأحكام المترتبة
على القصر من طريقه
« نظم جامع يطبع مع شرحه لأول مرة »
شرح وتحقيق
فضيلة الشيخ / سعيد يوسف
مدرس القرآن الكريم والتجويد بالأزهر
الطبعة الأولى
مكتبة السنة